الطيف

رقية هشـــــــــــــــام

“بوابة فُتحت... وشيء عبر منها. هل يمكن إغلاقها قبل فوات الأوان؟”

"ليس كل ما نراه في الانعكاسات مجرد ظلال... أحيانًا، هناك شيء آخر يحدق بنا من الجهة الأخرى."

إهداء

"إلى أولئك الذين يبحثون عن الحقيقة في الظلال، إلى العقول التي لا تهاب المجهول، و إلى القلوب التي تنبض بالشجاعة رغم الخوف... هذه القصة لكم. فقد تكون الحقيقة أقرب مما تظنون، لكنها ليست دائمًا ما تتوقعونه."

***

مقدمة

"الطيف" ليس مجرد ظاهرة... إنه شيء حي.

في عام 2163، وبعد تقدم البشرية في استكشاف الفضاء، ينجح العلماء في بناء "منشأة الطيف"—تجربة فيزيائية تهدف إلى كشف أسرار الكون المظلم. ولكن عندما يتم تشغيلها لأول مرة، يحدث شيء غير متوقع...

"لقد فتحنا نافذة... لكننا لسنا وحدنا من ينظر من خلالها."

يبدأ البشر في رؤية أشياء لم تكن موجودة من قبل—مدن غامضة تظهر في السماء، أصوات تأتي من الفراغ، وأشخاص يختفون دون أثر. سرعان ما يدرك العلماء أن التجربة لم تكشف مجرد موجات غير مرئية... بل أبعدت الحاجز بين العوالم.

الآن، يتعين على الدكتور إيفان رايس وفريقه إغلاق المنشأة قبل فوات الأوان. ولكن كيف تغلق بابًا عندما لا تعرف لمن فتحته؟

عندما يصبح العالم انعكاسًا لكابوس مجهول، لا أحد يستطيع النجاة من الطيف

***

كانت منشأة الطيف هي آخر أمل للبشرية في كشف أسرار الكون. في عالم أصبح فيه الفضاء هو حدود المعرفة، كانت هذه المنشأة، الواقعة في أقصى أطراف الكواكب المأهولة، على وشك أن تحقق قفزة كبيرة.

الدكتور إيفان رايس، عالم الفيزياء الفلكية الشاب والمبتكر الذي كان يقود المشروع، كان يراقب الشاشة أمامه بشغف. كانت الأجهزة المتطورة في غرفة التحكم تومض بأضواء زرقاء ساطعة، بينما كانت الحسابات تشير إلى أن التجربة على وشك أن تبدأ.

"الطيف قد يتنقل بين العوالم... نحن فقط بحاجة إلى أن نتمكن من رؤيته." قال الدكتور رايس بتفكير عميق.

كان هدف منشأة الطيف هو استخدام موجات الطيف التي تعكس الأبعاد الأخرى. الظواهر التي كانت في السابق مجرد نظريات في كتب الفيزياء، أصبحت الآن قابلة للتحقيق بفضل التكنولوجيا المتقدمة.

مع العد التنازلي النهائي، تجمع فريق العلماء والمشرفين حول الأدوات. الجميع كان يشعر بالتوتر، ولكن أيضًا بالحماس الغامر. كانوا على وشك فتح نافذة إلى عالم غير معروف.

عندما وصل العد التنازلي إلى الصفر، دوي انفجار خفيف ملأ المكان، وجميع الشاشات بدأت في التذبذب.

"هل رأيتم ذلك؟" قال أحد المهندسين فجأة، وهو يشير إلى الشاشة.

كانت هناك أشكال مظلمة تتسرب عبر الحافة البعيدة من الشاشة، مثل ظلال غير مرئية، ثم اختفت في لحظة.

"الطيف... فتحناه!" قال إيفان بصوت خافت، عينيه تتسعان من الدهشة.

لكن ما ظهر بعد ذلك كان شيئًا مختلفًا.

"أغلقوا الأبواب!" صرخ أحدهم، وهو يركض نحو الأزرار في محاولة لتعطيل التجربة، لكن كان الوقت قد فات.

ظهرت فجأة مدينة غريبة في السماء، تتلألأ بأضواء زرقاء وحمراء. كانت كائنات مظلمة تتحرك ببطء عبر هذه المدينة، أشخاص لم يكن لديهم ملامح، فقط أطياف غير مرئية. كانوا هناك، ولكنهم لم يكن لهم مكان في هذا العالم.

دون أن يدركوا، كانت المنشأة قد فتحت بابًا لعوالم أخرى.

كانت الأضواء في المنشأة تتلاشى تدريجيًا، والأجهزة تصدر أصواتًا متقطعة. بدأت الغرفة تتغير، وكأنها تتنفس ببطء.

"ما الذي يحدث؟" همست الدكتورة ماريا لانس، مساعدته المقربة. كان وجهها شاحبًا، وهي تحدق في شاشات البيانات المزعجة.

"هذه ليست مجرد أشباح رقمية... إنها رسائل." قال إيفان، وهو يقترب من الشاشة الرئيسية.

على أحد الأجهزة، ظهرت نصوص غريبة وغير مفهومة، وكأنها رسالة مشفرة من مكان بعيد. الكلمات كانت تتداخل مع بعضها البعض، لكن إيفان استطاع أن يميز كلمة واحدة في النهاية:

"مساعدتكم غير مرغوب فيها."

ثم، كما لو أن العالم كان يحاول إغلاق نفسه، بدأت الأجهزة تتعطل واحدة تلو الأخرى. شاشات العرض تومض بألوان غريبة قبل أن تختفي.

"يجب أن نوقف هذا!" قال إيفان، عينيه مليئة بالقلق.

لكن الأوان كان قد فات. بدأت المنشأة بأكملها تتسرب إلى العدم.

الفصل الثالث: الانهيار

بدأت المنشأة تهتز بعنف، وكأن الأرض نفسها تحاول التخلص منها. أصوات الإنذارات ملأت الغرفة، والأضواء الحمراء بدأت تومض بجنون.

"إيفان، نحن نفقد السيطرة!" صرخت ماريا وهي تحاول إعادة تشغيل الأنظمة، لكن جميع الأجهزة كانت تعرض رموزًا غير معروفة، وكأن قوة خارجية استولت عليها.

نظر إيفان إلى الشاشة الكبيرة في منتصف الغرفة، حيث كانت صورة المدينة الغريبة لا تزال ظاهرة في السماء. لكن شيئًا جديدًا بدأ بالظهور.

"هل ترى هذا؟" همس أحد العلماء.

أشكال تتحرك. ليست أطيافًا فقط... بل شيء آخر.

في البداية، بدت مجرد ظلال بعيدة، لكن سرعان ما بدأت تقترب من البوابة المفتوحة. كيانات طويلة، بلا وجوه، لكنها تمشي بثقة، وكأنها تعرف إلى أين تذهب.

"إنهم يعبرون إلى هنا!" صرخ مارك، أحد المهندسين، وهو يتراجع للخلف.

قبل أن يتمكن أي شخص من فعل شيء، بدأت أحد الأضواء في المنشأة تتغير، تتحول إلى لون أزرق داكن، ثم انطفأت تمامًا.

وفي اللحظة التالية... ظهر أول كيان داخل الغرفة.

كان طويلاً، ضبابيًا، وكأنه انعكاس غير مكتمل لكائن بشري. لم يكن لديه عينان، لكنه استدار نحوهم، وكأنه يرى كل شيء.

"انهم يعرفون بوجودنا." همس إيفان.

وقف الجميع في صمت مرعب، يراقبون الكيان وهو يتحرك ببطء. كان الهواء في الغرفة باردًا بشكل غير طبيعي، وكأن الواقع نفسه يتغير حولهم. ثم، بصوت لم يكن مسموعًا بالمعنى التقليدي، بل وكأنه يتردد مباشرة داخل العقول، تحدث الكيان:

"أنتم تجاوزتم حدودكم."

كانت كلماته مثل ارتجافات داخل الجمجمة، لا تُسمع بل تُشعر.

ماريا ضغطت على زر الطوارئ، محاوِلة إغلاق البوابة، لكن الكيان استدار نحوها، ومع حركة بسيطة من يده، توقفت كل الأجهزة عن العمل.

إيفان، رغم خوفه، خطا خطوة للأمام. "من أنتم؟ ماذا تريدون؟"

تغير شكل الكيان، وكأن جسده المظلم تموج للحظة، ثم قال:

"لسنا غزاة. نحن الحراس."

ماريا همست، بالكاد تستطيع التنفس: "حراس ماذا؟"

"حراس التوازن بين العوالم." قال الكيان. "وقد حطمتموه."

لم يكن لدى الفريق سوى خيارين:

1. إغلاق البوابة بأي ثمن، حتى لو كان ذلك يعني تدمير المنشأة بأكملها.

2. محاولة التفاوض مع الكائنات، ومعرفة ماذا يريدون بالضبط.

لكن قبل أن يتمكنوا من اتخاذ قرار، بدأ شيء آخر بالظهور على الشاشات المتعطلة.

رساله جديده..

"إن لم تغلقوا البوابة الآن، فلن يكون هناك عالم لإنقاذه."

إيفان أدرك الحقيقة المروعة: الطيف لم يكن مجرد نافذة... كان انهيارًا في جدار الوجود.

الآن، عليهم أن يقرروا مصير العالم.

بدأ التوتر يزداد في الغرفة، وأصبح الهواء ثقيلًا كما لو أن شيئًا غير مرئي يضغط على صدورهم. وقف إيفان يحدق في الكيان الذي ظهر أمامهم، يحاول أن يفهم إن كان هذا كائنًا واعيًا أم مجرد ظاهرة غامضة. لكن عندما تحدث بصوت لا يصدر من فمه بل يتردد داخل عقولهم، أدركوا أن ما يواجهونه ليس مجرد خيال.

"حراس التوازن بين العوالم؟" كرر إيفان بصوت منخفض، وكأن الكلمات نفسها غير منطقية. "أي توازن؟ لم نخترق أي حدود!"

لم يتغير تعبير الكيان، أو بالأحرى، لم يكن لديه تعبيرات يمكن قراءتها. لكنه أدار رأسه ببطء نحو إيفان وكأن كلماته تستحق التأمل. ثم قال بصوت

أشبه بصدى بعيد: "عالمكم ليس وحيدًا. كل شيء متصل بخيوط غير مرئية، وعندما تمزقون أحدها، ينهار الآخرون."

نظرت ماريا إلى الأجهزة، التي بدأت تومض بضوء خافت كما لو كانت تحاول إعادة التشغيل. بيانات جديدة ظهرت على الشاشة، لكن الأرقام والنصوص كانت غير مفهومة، وكأنها ليست بلغة بشرية.

قال مارك، الذي كان يراقب شاشة أخرى: "إيفان، هناك قراءات طاقة قادمة من الجهة الأخرى... شيء ضخم يتحرك."

لم يكن الأمر بحاجة إلى تفسير إضافي، فالكيان الموجود أمامهم لم يكن وحده.

بدأت الغرفة تهتز قليلاً، وكأن موجة غير مرئية اجتاحت المنشأة. على الشاشات، ظهر شكل جديد... صورة مشوشة لكائن أكبر، لم يكن له ملامح واضحة، بل كان أشبه بظل ضخم يتحرك ببطء خلف الحاجز الفاصل بين العوالم.

قالت ماريا، وهي تحاول الحفاظ على هدوئها: "إيفان... أعتقد أننا لم نفتح مجرد نافذة. لقد فتحنا بوابة."

لم يرد إيفان على الفور. كان ذهنه يحاول استيعاب الموقف، لكن كل شيء بدا وكأنه ينهار بسرعة كبيرة. إذا كان ما يقوله الكيان صحيحًا، فهذا يعني أنهم لم يكونوا أول من حاول ذلك، وربما لم يكونوا الوحيدين الذين يراقبون.

لكن ماذا يعني هذا؟ ومن هؤلاء الكائنات حقًا؟

أخذ نفسًا عميقًا وقال بصوت ثابت: "كيف نصلح هذا؟"

كان يعلم أنهم في ورطة، لكن ربما لم يكن كل شيء قد فُقد بعد.

لم يرد الكيان على سؤال إيفان فورًا، بل بقي ساكنًا لثوانٍ طويلة، وكأنه كان يقيس مدى استيعابهم لما يجري. ثم، ببطء، رفع يده، ومع حركته، بدأت الغرفة تتغير.

لم تكن المنشأة تتحطم، بل كانت تتشوه—الجدران أصبحت شبه شفافة، والهواء امتلأ بموجات خافتة من الضوء المتداخل، كما لو أن المكان نفسه لم يعد ثابتًا في الواقع.

"التوازن يحتاج إلى ترميم"، قال الكيان بصوته العميق المتردد داخل عقولهم. "لكن ليست كل البوابات قابلة للإغلاق."

شعر إيفان بقشعريرة تسري في جسده. "ماذا تعني بذلك؟ هل تقول إننا عالقون؟"

"أقول إن هناك شيئًا آخر عبر بالفعل."

ساد صمت ثقيل. لم يكن الخطر هو البوابة نفسها، بل ما قد يكون تسلل عبرها قبل أن يدركوا ما فعلوه.

نظرت ماريا بسرعة إلى الشاشات، وأخذت تحلل البيانات الجديدة. "لدينا قراءات طاقة غير متناسقة في المنشأة. هناك نبضات تظهر وتختفي بسرعة... وكأن هناك شيء يتحرك بين الأبعاد."

مارك، الذي بدا أنه بدأ يذعر، قال بصوت متوتر: "أين؟ في أي جزء من المنشأة؟"

مررَت ماريا يدها بسرعة على لوحة التحكم، ثم اتسعت عيناها وهي تحدق في الشاشة. "في كل مكان."

ارتفع صوت صفارات الإنذار فجأة. لم يكن هذا جزءًا من نظام الإنذار العادي، بل كان شيئًا جديدًا تمامًا. الصوت لم يكن بشريًا—كان خليطًا من ترددات غريبة، كما لو أن المنشأة نفسها تحاول تحذيرهم من شيء لا تستطيع فهمه.

وفي اللحظة التالية، انطفأت الأضواء.

لم يكن ذلك مجرد عطل... كان وكأن شيئًا ما قد امتص الضوء نفسه.

ثم... ظهر الصوت.

لم يكن صراخًا، ولم يكن ضوضاء ميكانيكية. كان أشبه بهمهمة منخفضة، عميقة، تتردد في الجدران، وفي العظام، وكأنها تأتي من داخلهم لا من الخارج.

شعر إيفان بأن شعره يقف من الخوف، لكنه تمسك بهدوئه. "الجميع، ابقوا قريبين من بعضكم!"

ثم... فتح أحد الأبواب ببطء، من تلقاء نفسه.

ومن خلفه، كان هناك شيء ينتظر في الظلام.

ساد صمت ثقيل، وكأن الهواء نفسه تجمد في المكان. كان الباب المفتوح يقود إلى ممر جانبي داخل المنشأة، لكن الآن، بدا وكأنه فجوة إلى المجهول.

كانت الظلال خلفه تتحرك، ليس كما تتحرك الأشياء العادية، بل بانسيابية غير طبيعية، وكأنها كانت تراقبهم.

أمسك مارك بمصباح يدوي وسلطه نحو الممر، لكن الضوء بدا وكأنه يُبتلع بمجرد دخوله الظلام. لم يكن مجرد ظلام عادي—بل فراغ حي.

"إيفان..." همست ماريا، وهي تتراجع خطوة للخلف. "هذا ليس طبيعيًا."

لكن إيفان لم يتحرك. حدق في الظلال، ثم استدار إلى الكيان الذي لا يزال واقفًا هناك، بلا ملامح، بلا انفعال. "هل هذا ما تسلل عبر البوابة؟"

لم يرد الكيان على الفور، لكنه أخيرًا قال بصوت أشبه بصدى بعيد: "ليس واحدًا... بل كُثُر."

قشعريرة جمدت دماء الجميع.

"ماذا تعني؟" سأل مارك، صوته كان يرتجف.

"ما فتحتموه لم يكن مجرد بوابة... كان دعوة. والآن، هم هنا."

وفجأة، اندفعت الظلال نحوهم.

لم تكن تتحرك كالمخلوقات العادية، بل كانت تنساب عبر الهواء، تتغلغل في الجدران، وتقترب بسرعة غير طبيعية.

صرخت ماريا: "اركضوا!"

اندفع الجميع إلى غرفة التحكم، وأغلقوا الباب خلفهم بسرعة. ارتج المكان، كما لو أن كيانًا ضخمًا اصطدم بالجدار من الجهة الأخرى.

لكن الباب لم يكن كافيًا لإيقاف ما كان بالخارج. بدأت الظلال تزحف عبر الفجوات، تتسرب كالدخان الأسود، تتحرك ببطء لكنها لا تتوقف.

إيفان، وهو يحاول التقاط أنفاسه، استدار إلى الكيان وسأله بصوت مرتجف لكنه حازم: "كيف نوقفهم؟!"

الكيان لم يتحرك، لكنه قال بصوت عميق: "ليس بإمكانكم إيقافهم... لكن بإمكانكم الهرب."

"كيف؟"

تغير الجو فجأة، وبدأت شاشات المنشأة تعرض صورة جديدة—خريطة للمنشأة، وعلى أحد جوانبها، كان هناك مخرج طوارئ لم يكن موجودًا في المخططات الأصلية.

ماريا شهقت: "هذا ليس جزءًا من المنشأة!"

قال الكيان بهدوء: "لقد كان دائمًا هنا. لم تكونوا ترونه."

لم يكن لديهم وقت للتساؤل. الظلال بدأت تتكاثف، وأصوات خافتة بدأت تتردد داخل عقولهم، كلمات غير مفهومة لكنها كانت تحمل إحساسًا واحدًا...

"أنتم لنا."

"الآن!" صرخ إيفان، وهو يندفع نحو الممر الجديد، ماريا ومارك خلفه.

لكن عندما عبروا الباب، أدركوا أنهم لم يكونوا في المنشأة بعد الآن.

كانوا في مكان آخر تمامًا.

مكان بين العوالم.

لم يكن هذا ممر طوارئ عادياً. كان شيئًا آخر.

عندما عبر إيفان وماريا ومارك من خلاله، شعروا وكأنهم قد مروا عبر حجاب غير مرئي، وكأن الهواء نفسه أصبح أكثر كثافة للحظة، قبل أن يجدوا أنفسهم في مساحة غريبة، بلا جدران، بلا سقف، بلا أرض حقيقية.

كانوا يقفون على سطح عاكس، أشبه بمرآة لا تعكس سوى ظلالهم، والسماء فوقهم كانت بحرًا من الضوء الأزرق النابض، يلمع وكأنه مليء بالنجوم المتحركة.

"أين نحن؟" تمتم مارك، وهو يدور حول نفسه، محاولًا استيعاب المشهد.

نظرت ماريا إلى الخلف، لكن المدخل الذي خرجوا منه لم يعد هناك. لقد اختفى تمامًا.

إيفان لم يقل شيئًا. كان قلبه ينبض بقوة، وعقله يحاول البحث عن أي تفسير علمي لهذا المكان، لكن لم يكن هناك شيء مألوف هنا.

وفجأة، ظهر الكيان مجددًا، لكن هذه المرة، لم يكن وحده.

إلى جانبه، كانت هناك كائنات أخرى، مشابهة له، لكن بأحجام مختلفة، تقف بصمت، وكأنها تنتظر.

"ما هذا المكان؟!" سأل مارك بصوت مرتفع، وعيناه تتحركان بين الكائنات.

قال الكيان الأول بصوت عميق: "هذا الحد الفاصل."

"الفاصل بين ماذا؟"

"بين كل شيء... وبين اللاشيء."
شعر إيفان ببرودة تجتاح جسده. "أنت تقول إننا... خارج أي عالم؟"
"أنتم في الممر بين العوالم. المكان الذي لا يجب على أحد أن يراه."
نظرت ماريا حولها، وهمست: "لكن لماذا جلبتنا إلى هنا؟"
تحرك أحد الكيانات الأخرى لأول مرة، واقترب منهم. كان صوته مختلفًا، أكثر خشونة لكنه لا يزال يتردد داخل عقولهم:
"لأنكم أطلقتم شيئًا لا يمكن إعادته."
أصبح الصمت أثقل.
"تقصدون تلك الظلال؟" سأل إيفان، وهو يحاول جمع أفكاره.
أومأ الكيان ببطء. "إنها ليست مجرد ظلال... إنها شظايا من عوالم منسية. كائنات لم يعد يجب أن تكون موجودة. لكنها الآن تبحث عن مكان تعود إليه."
ماريا بلعت ريقها بصعوبة. "وتريد أن يكون عالمنا ذلك المكان."
لم يرد أحد من الكيانات، لكن الصمت وحده كان كافيًا للإجابة.
قال إيفان، وهو يحاول الحفاظ على هدوئه: "كيف نوقفها؟"
تقدّم الكيان الأول خطوة إلى الأمام، وقال بصوت خافت لكنه محمل بالثقل:
"لا يمكنكم. لكن يمكنكم الاختيار."

"الاختيار بين ماذا؟"

"إما أن تتركوا البوابة مفتوحة... وتسمحوا لهم بالبقاء."

"أو؟"

"أو... تغلقوها. ولكن بثمن."

"ما الثمن؟" سأل مارك، لكن في أعماقه، كان يعلم أن الإجابة لن تكون سهلة.

نظر الكيان نحوهم للحظة، ثم قال: "شخص واحد منكم يجب أن يبقى هنا."

انتشر الصمت كالعاصفة.

ماريا شهقت: "ماذا؟"

"هذا المكان يحتاج إلى توازن. إذا أغلقتم البوابة، ستنهار المنشأة، ولكن لا بد من وجود رابط يحفظ الاستقرار بين العوالم. واحد منكم يجب أن يكون هذا الرابط."

إيفان تبادل نظرات سريعة مع ماريا ومارك. لم يكن هناك مهرب من هذا القرار.

قال مارك بصوت مهتز: "هناك طريقة أخرى، صحيح؟"

لكن الكيان لم يجب.

وهكذا، كان عليهم اتخاذ القرار الأصعب في حياتهم.

من سيبقى... ومن سيعود؟

نظر إيفان إلى ماريا ومارك، كانت أعينهم مليئة بالخوف وعدم التصديق. كان القرار واضحًا وقاسيًا—أحدهم يجب أن يبقى هنا، في هذا المكان الغامض، ليمنع الظلال من العبور إلى عالمهم.

ماريا، التي لطالما كانت الأقوى في الفريق، شدّت قبضتيها وقالت بصوت مهتز: "لا يمكن أن يكون هذا هو الخيار الوحيد... لا بد من طريقة أخرى!"

لكن الكيان لم يتحرك، ولم يتحدث. فقط انتظر.

مارك، الذي كان يلتقط أنفاسه بصعوبة، تمتم: "إذا لم يفعل أحد منا ذلك... ما الذي سيحدث؟"

أجاب الكيان أخيرًا: "البوابة ستظل مفتوحة. والعالم الذي تعرفونه... لن يبقى كما هو."

مرت لحظة ثقيلة، شعرت فيها ماريا وكأن الهواء اختفى من حولها. ثم، بصوت ثابت، قال إيفان: "سأبقى."

التفتت ماريا إليه بصدمة. "ماذا؟ لا، إيفان، لا يمكنك—"

"لا يوجد خيار آخر." قاطعها، ونظر إلى مارك. "عليك أن تعود، وتغلق المنشأة. تأكد من عدم اقتراب أي شخص من هذه التكنولوجيا مرة أخرى."

لكن مارك لم يستطع الرد. كان وجهه شاحبًا، وكأنه لم يصدق ما يسمعه.

اقتربت ماريا من إيفان، أمسكت بكتفيه بقوة، وعيناها تلمعان بالرفض. "لا يمكننا تركك هنا!"

ابتسم لها إيفان ابتسامة صغيرة لكنها حزينة. "أحدنا يجب أن يبقى... و إذا كان عليّ الاختيار، فأنا أختاركم."

لم تستطع ماريا الكلام، فقط أومأت برأسها ببطء، ودموعها تحاول التسلل لعينيها، لكنها حاربتها.

رفع الكيان يده ببطء، وبدأ الهواء من حول إيفان يتغير، وكأن المكان نفسه يتقبله كجزء منه.

"امضوا الآن"، قال الكيان. "البوابة ستغلق قريبًا."

مارك، رغم الألم، أمسك بيد ماريا وسحبها معه. لم يكن هناك وقت للنقاش بعد الآن.

وفي اللحظة التي عبروا فيها الممر، اختفى الضوء الأزرق من حولهم... ثم وجدوا أنفسهم في المنشأة من جديد.

الأضواء كانت تومض بجنون، الإنذارات كانت تصرخ، والبوابة بدأت تنكمش، وكأنها تنهار على نفسها.

ماريا، بصوت مخنوق، تمتمت: "إيفان..."

لكن لم يكن هناك وقت. مارك ركض نحو لوحة التحكم، وضغط على الأوامر النهائية لإغلاق النظام.

وفي لحظة واحدة... انهار كل شيء.

عندما استيقظت ماريا، كانت في مستشفى ميداني خارج المنشأة المدمرة.

كان مارك جالسًا بجانبها، صامتًا، وعيناه مثبتتان على الأرض.

لم يكن هناك أثر للبوابة. ولا لإيفان.

بعد أيام، عندما استجوبتهم السلطات، لم يخبروا أحدًا بالحقيقة الكاملة.

قالوا إن التجربة فشلت، و إن الانفجار الذي حدث كان نتيجة خطأ تقني.

لكن ماريا كانت تعلم... كان هناك من لا يزال عالقًا هناك.

وفي إحدى الليالي، بينما كانت تحدق في المرآة في غرفتها، أقسمت أنها رأت انعكاسًا لم يكن لها.

انعكاسًا لشخص كانت تعرفه جيدًا.

إيفان... يحدق بها من الجانب الآخر.

العودة إلى العالم... أو هكذا ظنوا

بعد أيام من انهيار المنشأة، حاولت ماريا ومارك العودة إلى حياتهما الطبيعية، لكن شيئًا ما كان مختلفًا.

ماريا، رغم كل محاولاتها لنسيان ما حدث، لم تستطع التخلّص من الشعور بأن إيفان لم يختفِ تمامًا. كانت ترى ظلالًا تتحرك في زوايا عينيها، وكانت تسمع همسات خافتة في أوقات متأخرة من الليل.

لكنها لم تخبر أحدًا. ربما كان عقلها يخدعها... أو ربما لم يكن كذلك.

أما مارك، فقد غرق في العمل، محاولًا دفن الذكريات تحت روتين يومي قاسٍ. لكنه لم يكن ينام جيدًا، وكان يستيقظ أحيانًا في منتصف الليل على صوت باب يُفتح وحده... رغم أنه كان متأكدًا من إغلاقه.

الإشارة الأولى

بعد شهر من الحادثة، تلقت ماريا بريدًا إلكترونيًا غريبًا.

لم يكن به عنوان، ولم يظهر المرسل. فقط رسالة قصيرة:

"لم أذهب بعيدًا."

تجمدت ماريا في مكانها. كان عقلها يخبرها بأن هذا مستحيل، لكن قلبها كان يقول شيئًا آخر.

إيفان.

حاولت تتبع مصدر البريد، لكن كل المحاولات باءت بالفشل. لم يكن هناك أي سجل للرسالة، وكأنها لم تُرسل أبدًا.

لكنها كانت هناك.

البحث عن الحقيقة

قررت ماريا ألا تخبر مارك. لم يكن ليتقبل الأمر، وسيظن أنها تمر بحالة نفسية سيئة. لكنها لم تستطع تجاهل الأمر، فبدأت تبحث في ملفات المنشأة القديمة، محاولة فهم ما حدث فعلًا.

اكتشفت أن البوابة لم تكن مجرد تجربة عشوائية... بل كانت محاولة لإعادة إنشاء شيء تم إغلاقه قبل عقود.

المشروع كان يحمل اسم "الطيف الأول".

لكن جميع السجلات عنه اختفت تقريبًا، وكأن أحدًا أراد أن يُخفيه للأبد.

كلما تعمّقت أكثر، كلما أدركت أن هناك قوة ما لا تريدها أن تعرف الحقيقة.

وفي إحدى الليالي، بينما كانت تحلل إحدى الصور القديمة للمنشأة، لاحظت شيئًا جعل الدماء تتجمد في عروقها.

في زاوية الصورة، عند المرآة الضخمة المستخدمة في التجربة... كان هناك انعكاس غامض.

رجل واقف في الظل.

وكان يشبه إيفان تمامًا.

انعكاس في الظلام..

حدّقت ماريا في الصورة، وقلبها ينبض بجنون. لم يكن مجرد وهم بصري... لم يكن ظلًا عشوائيًا. كان إيفان.

لكن كيف؟

هل كان حبيسًا في مكان ما بين العوالم؟ هل كان يحاول العودة؟ أم أن ما تراه ليس إيفان... بل شيئًا آخر؟

قررت أن تواجه مارك أخيرًا. عندما عرضت عليه الصورة، كان رد فعله فوريًا—تراجع للخلف وكأن صاعقة ضربته. "هذا مستحيل، ماريا. لقد رأيناه يختفي. لقد أغلقنا البوابة!"

لكنها هزّت رأسها. "وإذا لم نكن أغلقناها بالكامل؟ ماذا لو كان ما فعلناه مجرد... تحويلها إلى اتجاه آخر؟"

كان مارك يريد رفض الفكرة، يريد التمسك بفكرة أنهم فعلوا الشيء الصحيح. لكن في داخله، كان يعلم أن هناك شيئًا لم يُحسم بعد.

الإشارة الثانية

في تلك الليلة، وبينما كانت ماريا تحاول النوم، استيقظت فجأة على صوت هامس في غرفتها.

لم يكن ضجيجًا عاديًا. كان اسمه يُنطق ببطء.

"ماريا..."

جلست في سريرها بسرعة، قلبها ينبض بجنون. لم يكن هناك أحد. لكن الهواء كان ثقيلًا، وكأن الغرفة تتنفس معها.

ثم، على مرآة خزانتها، ظهر بخار ببطء، وكأن شخصًا ما كان يلهث خلف الزجاج.

وبعد ثوانٍ...

كُتبت كلمة واحدة على السطح البارد للمرآة:

"ساعديني."

قرار لا مفر منه

في الصباح، لم تتردد ماريا. جمعت كل ما لديها من ملفات، واتجهت إلى مارك.

"علينا العودة إلى المنشأة."

نظر إليها مارك بصدمة. "ماذا؟ هل جننتِ؟ المنشأة دُمّرت، لا شيء هناك!"

"لا، مارك. هناك شيء هناك. وأنا متأكدة أن إيفان... أو ما تبقى منه... ما زال عالقًا بين العوالم."

حاول مارك الرفض، لكنه رأى التصميم في عينيها. "إذا كان هذا صحيحًا... وإذا لم يكن ذلك إيفان حقًا، بل شيئًا آخر يستخدمه لاستدراجنا؟"

صمتت ماريا للحظة، ثم قالت بهدوء: "لهذا السبب علينا أن نعرف الحقيقة بأنفسنا."

وبعد ساعات قليلة...

كانا يقفان أمام أنقاض المنشأة.

وكان الباب الذي من المفترض أنه قد أُغلق إلى الأبد... مفتوحًا من جديد.

وقفت ماريا ومارك أمام الباب المفتوح، يتبادلان نظرات مشوبة بالخوف. لم يكن من المفترض أن يكون هذا ممكنًا—المنشأة انهارت، وكل شيء دُمِّر... فكيف عاد هذا الباب إلى الوجود؟

"هذا جنون." تمتم مارك، لكنه رغم ذلك، لم يتحرك للخلف.

ماريا، دون أن تنطق بكلمة، خطت إلى الداخل. كان الهواء داخل المنشأة مختلفًا—ثقيلًا، مشبعًا بالكهرباء، وكأن المكان نفسه كان ينتظرهم.

لم تكن هناك أضواء، فقط وهج خافت ينبعث من أعماق المنشأة، حيث كانت البوابة ذات يوم.

"هل تسمعين ذلك؟" همس مارك.

توقفت ماريا، وأرهفت السمع. في البداية، ظنت أنها مجرد أوهام... لكنه كان هناك.

صوت همسات... قادمة من الأعماق.

لم يكن صوتًا واحدًا. بل عدة أصوات، متداخلة، كأنها تحاول التحدث في آن واحد.

ثم، فجأة، وسط الصمت، جاء صوت مألوف:

"ماريا..."

تجمدت في مكانها. كان ذلك صوته.

صوت إيفان.

ركضت دون تفكير نحو مصدر الصوت، غير عابئة بتحذيرات مارك الذي لحق بها وهو يصرخ: "ماريا! انتظري!"

عندما وصلا إلى القاعة الرئيسية، كانت البوابة هناك.

لم تكن كما كانت في السابق. لم تكن مجرد دائرة طاقة... بل كانت مرآة ضخمة، سوداء كالأفق، تعكس ظلالًا لم تكن لهم.

في عمق الانعكاس، ظهر إيفان. كان واقفًا، ينظر إليهم بعينين فارغتين، وكأن روحه لم تعد كاملة.

"إيفان!" صرخت ماريا، تقترب ببطء.

ابتسم، لكنها لم تكن ابتسامة طبيعية. كان هناك شيء خاطئ.

"ساعديني،" قال، تمامًا كما كتب على مرآتها.

مارك أمسك بيدها فجأة، وهمس بجزع: "هذا ليس إيفان."

ماريا تجمدت. كانت تريد تصديقه... لكنها أرادت أيضًا أن تصدق أن صديقهم لم يُفقد تمامًا.

ثم، دون سابق إنذار، بدأ الانعكاس يتغير.

عيناه تحوّلتا إلى ثقوب سوداء، وابتسامته امتدت بشكل غير طبيعي.

الأصوات حولهم أصبحت أعلى، وكأن مئات الكيانات كانت تتحدث عبر فمه.

"لقد فتحتم الباب،" قال بصوت مشوّه. "والآن، لا يمكنكم إغلاقه وحدكم."

ثم خرجت يد من المرآة.

الهروب... أو البقاء للأبد

تراجعت ماريا بصدمة، لكن اليد أمسكت بمعصمها بقوة، وجذبها نحو الظلام. مارك، دون تفكير، أمسك بها وسحبها للخلف بكل قوته.

"ماريا، دعيه!" صرخ، لكن يدها كانت تتشبث بإيفان، أو ما تبقى منه.

كانت ترى في عينيه شيئًا... شيئًا إنسانيًا، وكأنه لا يزال هناك، محاصرًا.

لكن الظلال بدأت تتسرّب من المرآة، تتحرك في أنحاء القاعة كأنها تستعد للعبور إلى العالم الحقيقي.

مارك صرخ: "المنشأة ستنهار، علينا الخروج الآن!"

ماريا نظرت إلى إيفان، ثم إلى مارك... وعرفت أن عليها الاختيار.
إما أن تتركه هناك للأبد، أو تخاطر بكل شيء لإنقاذه.
وكان أمامها ثوانٍ فقط لاتخاذ القرار.
في اللحظة الأخيرة، وقفت ماريا بين خيارين: أن تترك إيفان في ذلك البُعد المجهول، أو أن تخاطر بسحبه إلى عالمهم، دون أن تعرف إن كان لا يزال هو نفسه... أم أصبح شيئًا آخر.
كانت يد إيفان تزداد برودة، والظلام خلفه بدأ يتحرك، يتلوى ككائن حي يحاول سحبه معه.
"ماريا، أطلقي يده!" صرخ مارك، بينما بدأت البوابة تهتز بشكل خطير، كما لو أنها ستنهار بالكامل.
لكن عيني إيفان كانتا هناك، ثابتتين عليها... مستغيثتين.
بكل قوة، شدّت ماريا يدها، وسحبت إيفان بقوة خارقة لم تكن تعلم أنها تمتلكها.
وفي اللحظة التي عبر فيها جسده العتبة، انفجرت المرآة.

طار الثلاثة للخلف بسبب الانفجار، ووجدوا أنفسهم مستلقين على أرض المنشأة المهجورة.

ماريا شهقت وهي تحاول النهوض، جسدها كله يؤلمها. نظرت حولها بسرعة... كانت البوابة قد اختفت تمامًا. لا مرآة، لا ضوء، لا ظلال.

ثم التفتت إلى إيفان.

كان مستلقيًا على الأرض، عيناه مغلقتان، وجسده بلا حراك.

"إيفان!" ركضت نحوه، وضعت يدها على وجهه، قلبها يكاد يتوقف.

ثم... فتح عينيه.

في البداية، لم يقل شيئًا. فقط نظر إليها، وكأنه يحاول استيعاب المكان.

"إيفان؟ هل أنت بخير؟" سأل مارك، صوته متردد، حذر.

إيفان لم يجب فورًا، لكنه أخيرًا تمتم بصوت ضعيف: "أين... أنا؟"

تنفست ماريا بارتياح، وكادت تبكي من الفرحة. "أنت هنا. لقد عدت."

لكن مارك لم يكن مقتنعًا بالكامل. شيء ما لم يكن صحيحًا.

في الأيام التالية، عاد الثلاثة إلى حياتهم الطبيعية. لكن مارك كان يراقب إيفان عن كثب.

كان مختلفًا.

صامتًا أكثر من المعتاد. لا يتحدث عن أي شيء مما حدث. بل إنه لم يتذكر تفاصيل الأيام الأخيرة قبل اختفائه في البوابة.

ومع مرور الأيام، بدأت ماريا تلاحظ شيئًا آخر.
إيفان لم يكن ينعكس في المرايا.
في البداية، ظنت أنها تتخيل. لكنها جربت الأمر بنفسها. عندما وقفت بجانبه أمام مرآة، كان انعكاسها هناك... لكن هو لم يكن موجودًا.
وفي إحدى الليالي، استيقظت ماريا على صوت همس.
عندما فتحت عينيها، رأت إيفان يقف عند نافذتها، يهمس بكلمات غير مفهومة إلى الظلام.
تجمدت في سريرها، جسدها يرفض الحركة.
ثم، فجأة، التفت إليها ببطء شديد.
وعيناه... لم تكونا كما تتذكرهما.
كانتا سوداوين بالكامل.

في اليوم التالي، ركضت ماريا إلى مارك، وهي تلهث بجنون.
"إيفان... ليس هو. شيء آخر عاد معنا."
مارك لم يكن بحاجة لإقناع. كان قد رأى بالفعل علامات غريبة في تصرفات إيفان. كان الأمر واضحًا... لم يعد وحده.
لكن السؤال الحقيقي كان:

ماذا عاد معه؟

لم يكن أمام ماريا ومارك خيار سوى معرفة الحقيقة. عليهما التأكد إن كان إيفان هو نفسه... أم أصبح شيئًا آخر تمامًا.

في تلك الليلة، عندما خيم الظلام، اجتمعا في شقة مارك. جلس إيفان أمامهما، صامتًا، ينظر إليهما بنظرات فارغة، وكأن وجوده نفسه لم يعد ينتمي إلى هذا العالم.

"إيفان..." بدأت ماريا بصوت حذر. "أين كنت عندما دخلت البوابة؟"

نظر إليهما لفترة طويلة، ثم قال ببطء: "لا أتذكر."

"لا بد أنك تتذكر شيئًا، أي شيء." أصر مارك.

إيفان أمال رأسه قليلًا. "كان هناك... ظلام. همسات. لكن لا شيء آخر."

ماريا تبادلت نظرة مع مارك. لم يكن هذا طبيعيًا. إيفان لم يكن شخصًا نسيانًا. كان ذكيًا، يحلل كل شيء، يسجل التفاصيل. كيف يمكنه نسيان المكان الذي كان عالقًا فيه طوال هذا الوقت؟

لكن قبل أن تستمر المحادثة، حدث شيء غريب.

مرآة صغيرة معلقة على الجدار... تشوّه انعكاسها.

لم يكن هناك سوى ماريا ومارك أمامها، لكن انعكاس إيفان لم يكن طبيعيًا.

في الزجاج، كان هناك شيء يشبهه... لكن ملامحه كانت تتغير، تذوب ببطء وكأنها تحاول اتخاذ شكل بشري.

ثم... ابتسم الانعكاس.

ابتسامة لم تكن تخص إيفان.

قفز مارك واقفًا، بينما تراجعت ماريا بسرعة، قلبها ينبض بجنون.

لكن قبل أن يتحرك أحد، تغير صوت إيفان. لم يعد صوته كما كان. أصبح مشوهًا، عميقًا، وكأن عدة أصوات تتحدث معًا.

"لقد أحضرتموني معكم."

لم يكن إيفان وحده.

كان شيء آخر يسكن جسده.

وفي لحظة خاطفة، انطفأت الأنوار، وحل الظلام التام في الغرفة.

ماريا صرخت، تحاول البحث عن مارك، لكن فجأة شعرت بيد باردة تمسك بمعصمها.

ثم جاء الهمس، قريبًا جدًا من أذنها:

"الآن، حان دورك."

عندما استعادت ماريا وعيها، وجدت نفسها في مكان مختلف. لم تكن في شقة مارك بعد الآن.

كانت في... مكان بلا نهاية، حيث لا جدران، لا سماء، لا أرض. فقط ضباب أسود كثيف يحيط بها من كل اتجاه.

صوت مارك لم يكن في أي مكان.

لكن هناك شيء آخر كان هناك.

شيء يتحرك في الظلام، يراقبها، يقترب ببطء.

ثم، بصوت مألوف... همس لها:

"قلت لكِ... لا يمكنكم إغلاق الباب وحدكم."

ماريا لم تكن تعرف إن كانت مستيقظة أم عالقة في كابوس لا نهاية له. كان المكان الذي وجدت نفسها فيه خارج حدود المنطق. الضباب الأسود كان ينبض، يتحرك وكأنه كائن حي، يحيط بها من كل اتجاه.

"مارك؟" همست، لكن صوتها تلاشى كما لو أن الفراغ قد ابتلعه.

ثم... تحرك شيء في الظلام.

عينان، سوداء بالكامل، ظهرتا أمامها.

جاء الصوت مجددًا، منخفضًا، زاحفًا إلى أعماق عقلها: "لقد أحضرتموني. والآن... لن أعود وحدي."

ماريا شعرت بقشعريرة تجتاح جسدها، لكنها لم تكن مستعدة للاستسلام.

"أين أنا؟ ماذا فعلت بي؟"

الصوت لم يضحك، لكنه بدا وكأنه يستمتع بخوفها. "أنتِ بين العالمين. في الفراغ الذي كنتم تحاولون لمسه دون أن تفهموه."

"أعيدني!" صرخت، لكن الضباب تحرك، بدأ يلتف حولها، يضغط على أنفاسها.

ثم سمعت صوتًا آخر.

مارك.

"ماريا! تمسّكي بشيء!"

لكنها لم تستطع الرؤية، كل شيء كان يتحطم حولها. الضباب بدأ ينهار، والمكان نفسه كان ينهار معه.

ثم، فجأة، شعرت بيد تمسك بمعصمها وتسحبها بقوة.

العودة... ولكن بثمن

ماريا شهقت وهي تفتح عينيها. كانت ملقاة على الأرض، في شقة مارك، والأضواء عادت.

مارك كان فوقها، يهزها برعب. "ماريا! هل تسمعينني؟"

التقطت أنفاسها بصعوبة، جسدها يرتجف بالكامل. "ما... ما الذي حدث؟"

مارك لم يجب فورًا. لكنه أشار إلى الزاوية الأخرى من الغرفة.

إيفان كان واقفًا هناك.

لكن شيئًا ما كان مختلفًا.

بدا كما لو أنه فقد شيئًا أساسيًا منه... أو ربما حصل على شيء جديد.

ثم، بابتسامة خفيفة، قال: "أعتقد أننا لم نعد وحدنا."

ماريا ومارك تبادلا النظرات، بينما ظل إيفان واقفًا هناك، بابتسامته الغامضة التي لم تبدُ طبيعية أبدًا.

ماريا تنفست بصعوبة، ما زالت تشعر بثقل الظلام الذي كان يحتجزها قبل لحظات. لكنها لم تكن بحاجة إلى تفسير... كانت تعلم أن إيفان لم يعد كما كان.

"إيفان..." نطقت اسمه بحذر، لكنه لم يجب مباشرة.

ثم، بهدوء غير مريح، قال: "ما الأمر، ماريا؟ ألم تكوني تريدين إعادتي؟"

لم يكن صوته خاطئًا، لكنه لم يكن مألوفًا تمامًا أيضًا.

مارك تراجع خطوة، وبدأ يتحسس جيب سترته، حيث كان يحتفظ بسكين صغيرة. مجرد احتياط... لكن هل سينفع ذلك الآن؟

إيفان نظر إليهما، وكأنه يقرأ أفكارهما. ثم، بابتسامة بطيئة، أضاف: "أنا هنا... لكنني لست وحدي."

ماريا شعرت بقشعريرة تتسلل إلى عمودها الفقري.

"ما الذي تعنيه؟"

إيفان لم يجب فورًا، لكنه رفع يده ببطء. وعندها لاحظا شيئًا غريبًا—ظله، الذي كان يمتد خلفه على الأرض، لم يكن يتحرك كما ينبغي.

بل كان... يتنفس.

مارك أدرك الأمر أولًا، وسحب السكين بسرعة. "ماريا، ابتعدي عنه!"

لكن قبل أن تتحرك، كان إيفان قد تحرك أولًا.

في لحظة خاطفة، اختفى الظل من الأرض... وظهر خلف ماريا.

ثم همس لها في أذنها: "أنتِ أيضًا كنتِ هناك، ماريا... هل تظنين أنهم لم يلاحظوكِ؟"

ماريا تجمدت في مكانها.

"ماذا تعني؟"

إيفان لم يجب، لكن عينيه لمعتا بشيء مظلم، شيء أعمق من مجرد كلمات.

ثم، قبل أن تدرك الأمر، انطفأت الأنوار مجددًا.

لا مفر من المجهول

هذه المرة، لم يكن هناك صوت انفجار. لم يكن هناك صراخ.

فقط صمت عميق، يبتلع كل شيء.

ثم... بدأ الهمس.

عدة أصوات، تتحدث معًا، قادمة من كل اتجاه.

ماريا حاولت البحث عن مارك في الظلام، لكن يديها لم تلمس شيئًا.

ثم، فجأة، جاء الصوت مباشرة داخل عقلها:

"الباب لم يُغلق... أنتِ فقط لم تدركي ذلك بعد."

كان الصمت يحيط بها، لكنه لم يكن صمتًا حقيقيًا—كان هناك شيء كامن في الظلام، شيء ينتظر اللحظة المناسبة للظهور.

ماريا حاولت أن تتنفس بهدوء، لكن قلبها كان يخفق بجنون.

"مارك؟" همست، لكن لا إجابة.

ثم... جاء الصوت مرة أخرى، ليس من الخارج، بل من داخل عقلها:

"لقد رأونا، ماريا. ولن يتركوكِ تذهبين."

عيناها اتسعتا رعبًا. الصوت لم يكن غريبًا عنها، كان صوتها هي نفسها.

لكنها لم تكن تتحدث.

عندما أضاء ضوء خافت في الغرفة فجأة، رأت ماريا شيئًا جعل الدم يتجمد في عروقها.

كانت هناك مرآة أمامها... لكنها لم تكن تعكس صورتها كما يجب.

بدلًا من ذلك، كانت هناك نسخة أخرى منها، تقف داخل الزجاج، تنظر إليها ببرود.

لكن شيئًا كان خاطئًا... ملامح النسخة كانت مشوهة قليلًا، عيناها غارقتان في السواد، وابتسامتها كانت أكثر... حيوية مما ينبغي.

ماريا شعرت بجسدها يتصلب.

"أنتِ لستِ أنا."

الانعكاس أمال رأسه قليلًا، ثم تمتم بصوت بارد: "أنا أنتِ عندما تخلّيتِ عن نورك."

ماريا تراجعت خطوة، لكن لم يكن هناك مكان للهرب.

المرآة بدأت تتشقق من الداخل، كأن شيئًا يحاول الخروج منها... شيء يشبهها تمامًا، لكنه ليس بشريًا.

ثم ظهر مارك فجأة، يركض نحوها، وجهه مغطى بالعرق والخوف.

"ماريا! لا تنظري في المرآة!"

لكنه تأخر.

الانعكاس خرج.

ماريا شعرت بجسدها يُسحب للخلف بعنف، وصرخة اخترقت أذنيها.

العالم حولها تشوّه، الألوان تلاشت، والجدران انكمشت كأنها تنهار نحو الداخل.

لكنها لم تستسلم.

أغمضت عينيها، وتذكرت شيئًا...

شيئًا قاله لها إيفان قبل أن يختفي أول مرة:

"الكيانات التي تخرج، لا تتحمل الضوء الحقيقي."

مدّت يدها المرتجفة نحو جيبها... وأخرجت الكريستالة الصغيرة التي التقطوها من البوابة قبل أن تنكسر.

ضغَطت عليها بقوة.

وفجأة، انفجر الضوء.

الانعكاس صرخ، تراجع إلى داخل المرآة، والزجاج انفجر إلى شظايا، تناثرت في كل الاتجاهات.

ماريا سقطت على الأرض، تتنفس بصعوبة، بينما مارك سحبها بعيدًا.

"هل أنتِ بخير؟"

أومأت، بصمت، لكنها لم تكن بخير.

لأنها رأت شيئًا في آخر لحظة...

رأت أكثر من انعكاس.

المرآة لم تكن تحبس كيانًا واحدًا.

كانت مجرد أول نافذة.

بعد الهدوء

مرّ أسبوع.

ماريا ومارك لم يعودا كما كانا.

إيفان اختفى مرة أخرى... لكن هذه المرة، لم يترك أثرًا. لا ظل، لا أثر في المرايا، لا همسات.

هدأت الأمور... ظاهريًا.

لكن ماريا لم تعد تنظر في أي مرآة مباشرة.

وكلما مشت قرب زجاج، كانت تشعر أن شيئًا... يتنفس على الجانب الآخر.

ثم، في إحدى الليالي، بينما كانت تمر أمام المرآة الطويلة في الممر، توقفت فجأة.

انعكاسها... لم يكن يبتسم.

بل كان يهمس بشفاهه المغلقة:

"الدور عليكِ."

ماريا لم تنم تلك الليلة. كانت تحدّق في المرآة لساعات، تراقب انعكاسها الذي لم يعد يطابق تحركاتها تمامًا.

كل حركة، كل رمشة عين، بدت وكأنها تأتي بثوانٍ متأخرة.

وفي لحظة صمت، سمعت صوتًا خافتًا، يأتي من داخل الزجاج:

"لم تنتهي اللعبة بعد."

في اليوم التالي، ذهبت إلى مارك، لكن عندما فتحت باب شقته...

لم يكن هناك أحد.

البيت هادئ، كل شيء في مكانه.

لكن على الطاولة وُضعت ورقة، مكتوبة بخط مارك، وعليها عبارة واحدة:

"إنه ليس أنا. لا تصدّقي ما تريه."

ماريا شعرت بقلبها يسقط من مكانه.

بدأت تدرك أن الأمر أكبر من مجرد بوابة أو كائن تسلل منها...

إنه شيء ينسخهم، يتخذ هيئتهم، ويستبدلهم دون أن يشعر أحد.

خلال الأيام التالية، ماريا لاحظت الأنماط:

كل من دخل "البوابة"، عاد بشيء مختلف.

الظلال تتكرر... لكنها ليست مجرد ظلال.

بعض المرايا لا تعكس الضوء تمامًا.

ذهبت إلى المستشفى حيث احتُجز إيفان سابقًا، تبحث عن الملفات... لتكتشف شيئًا مرعبًا:

مارك كان من أوائل من دخلوا البوابة، قبل الحادث الذي عرفوه عنه.

لكن السجلات الطبية تقول إنه خرج بعد ساعتين...

ومع ذلك، ماريا تتذكر أنهم بحثوا عنه لأيام قبل أن يجدوه.

إذن... من خرج في البداية؟

ومن كان معهم كل هذا الوقت؟

في آخر مشهد، كانت ماريا تقف في قبو قديم، تحيط بها مرايا مغطاة بالقماش.

واحدة تلو الأخرى، أزاحت الغطاء عنها...

وفي كل مرآة، رأت شيئًا مختلفًا:

في واحدة، انعكاسها كان يصرخ.

في أخرى، كانت تنزف.

وفي الثالثة... لم يكن هناك انعكاس على الإطلاق.

ثم، ظهرت مرآة أخيرة، أكبر من غيرها، ذات إطار معدني غامض.

الزجاج فيها لم يكن يعكس شيئًا...

بل كان نافذة مفتوحة.

ومنه خرج صوتٌ مألوف... بصوتها هي، لكنه مشبع بالظلام:

"أنا هنا منذ البداية... وأنتِ، مجرد البديلة."

ماريا لم تصرخ.

لم تبكِ.

فقط نظرت إلى النسخة الأخرى منها، التي خرجت من المرآة... وابتسمت.

"كنت أعلم أنك ستأتين"، قالت ماريا، لكن لم يُعرف أيّهما تحدثت.

النسختان كانتا تقفان في مواجهة بعضهما، والهواء من حولهما بدا أثقل من المعتاد، كما لو أن العالم نفسه يختنق.

ثم بدأ الزجاج خلف ماريا الأصلية يلمع... ويظهر ما خلفه.

مارك، أو من كان يشبهه، كان يقف هناك. لكن نصف وجهه كان مظلمًا، كأن الظل التهم جزءًا من ملامحه.

قال بصوت مكسور:

"الانعكاسات تزداد. نحن لا نعرف من نحن بعد الآن."

ماريا وجدت نفسها تمشي في ممر طويل، لا نهاية له، تحيط به مرايا من كل الجهات.

كل مرآة تعرض لحظة مختلفة من حياتها—طفولتها، صراخها في أحلامها، وجه والدتها... ثم صور لم ترها من قبل.

حيوات لم تعِشها.

هل كانت مجرد احتمالات؟

أم أن هناك نسخًا أخرى منها... تعيش حاليًا في عوالم موازية؟

ثم أدركت الأمر.

هذا المكان ليس مجرد عالم.

إنه عقل—أو سجن داخل وعي الكيان الذي جاء عبر البوابة.

وفي نهاية الممر، وقفت مرآة عملاقة، محفور حولها بكلمات بلغة لا تفهمها، لكنها تشعر بها داخليًا:

"لن تُغلق البوابة حتى تعودي كاملة."

ماريا سألت نفسها:

كاملة؟

هل هناك جزء منها ما زال في الجانب الآخر؟

خارج عالم المرايا، كانت النسخة التي خرجت إلى الواقع تعيش حياة ماريا.

أصدقاؤها لم يلاحظوا الفرق.

حتى مارك... أو ما تبقى من مارك... لم يتحدث.

لكن تلك النسخة كانت تفعل شيئًا مختلفًا.

كانت تُحضّر.

في الليل، كانت تضع مرايا صغيرة في زوايا معينة من المدينة، ترسم دوائر غريبة حولها، تهمس بلغات غير بشرية.

كانت تفتح البوابة من جديد.

وفي كل مرآة تُفعَّل، يظهر فيها وجه آخر... كيان آخر... نسخة من شخص ما تم استبداله منذ زمن.

ماريا الأصلية، داخل عالم الانعكاسات، لم تكن وحدها.

بدأت تسمع أصواتًا أخرى، تشبه صوتها.

كلها نسخ منها... من عوالم مختلفة، كل واحدة واجهت نهايتها بطريقتها.

واحدة احترقت.

واحدة غَرقت.

واحدة تحوّلت بالكامل.

لكن جميعهن قلن لها جملة واحدة:

"أنتِ الأخيرة... والأمل الأخير."

ماريا وقفت أمام المرآة الأخيرة، وضعت يدها على الزجاج، وهمست:
"إذا كانت هذه الحرب... فأنا مستعدة."
في عالمنا، كانت النسخة المزيفة من ماريا قد بدأت تتحرك بجرأة أكبر.
لم تعد تخفي نواياها، ولم تعد تخشى من يُراقب.
كانت تعرف... أن ماريا الحقيقية عالقة.
وأنها أمام سباق مع الزمن.
كانت تملك قدرة لم تكن لدى الأصلية:
فتح العقول.
كانت تلمس أشخاصًا معينين، وتنظر في أعينهم لثوانٍ فقط...
ثم يختفي بريقهم، وتتحول تعبيراتهم إلى الجمود.
أصبحت تُكوّن جيشًا من "العاكسين" – أشخاص سيطر عليهم الظل عبر انعكاساتهم.
وكانت الخطة واضحة:
كسر الحاجز بين العوالم نهائيًا.

ماريا الحقيقية، داخل "عالم الانعكاسات"، لم تعد تخاف.
النسخ الأخرى بدأت تتعاون معها، يشاركنها الذكريات والمعلومات.

واحدة منهن – ماريا من عالم رقمي – علمتها كيف تتحكم بالزجاج.

وأخرى، من عالم خضع للكيانات، كشفت لها نقطة ضعفهم:

المرآة الأصلية.

في كل العوالم، هناك واحدة فقط، "المرآة الأم" – التي من خلالها بدأت الفوضى.

إن حُطّمت... يتوقف كل شيء.

لكن... إن فُتحت كليًا، تنكسر الحواجز إلى الأبد.

عليها أن تجدها.

ماريا وجدت أخيرًا طريقًا للخروج.

نسخة قديمة من نفسها ضحّت بجزء من وعيها، لتفتح لها ممرًا خلال الزجاج.

الانتقال كان أشبه بالاحتراق البارد.

وعندما فتحت عينيها، كانت في غرفتها... لكن كل شيء فيها كان مغطى بالستائر، حتى المرايا.

"أنتِ عدتِ."

كان الصوت قادمًا من خلفها.

مارك... الحقيقي.

مرهق، شاحب، لكنه حي.

هرب قبل أن تتمكن النسخة من استبداله بالكامل.

"ما يحدث الآن... هو النهاية يا ماريا."

قالها، وهو يعطيها شيئًا:

قطعة زجاج مكسورة، من المرآة الأم.

النسخة المزيفة شعرت بعودة الأصل.

والعاكسون بدأوا يتساقطون.

لكنها لم تتراجع. بل دخلت إلى المرآة الأم، محاولةً فتح البوابة نهائيًا.

ماريا تبعتها.

داخل البوابة، كان كل شيء يتغير باستمرار – الأرض تتنفس، السماء تعكس الأرض، وكل ثانية تمر تُمحى فيها ذاكرة.

ثم حدثت المواجهة.

ماريا وقفت أمام انعكاسها، ليس كضحية... بل كمرآة نقيّة.

"أنتِ لستِ ظلي. أنتِ مجرد فوضى اخترعتها كي أهرب من نفسي."

رفعت قطعة الزجاج، وغرزتها في الأرض عند قدم النسخة.

فانفجرت المرآة.

استيقظت ماريا في غرفتها، بلا مرآة واحدة في المكان.

لكنها لم تكن وحدها.

مارك، وبعض من النسخ الناجية، كانوا حولها.

لم يتكلم أحد.

فقط نظرة واحدة جمعتهم:

"نحن نعرف ما حدث... لكن العالم لن يصدّق."

وفي يد ماريا، بقيت قطعة صغيرة... جدًا من الزجاج، تشعّ بنور خافت.

ربما لم تنتهِ القصة بعد.

مرت ثلاثة أشهر.

كل شيء عاد طبيعيًا... أو هكذا ظنّت ماريا.

لم يعد هناك مرآة واحدة في منزلها، ولا انعكاس لتتجنبه.

مارك اختفى مجددًا، و"الناجين" الآخرين لم يتركوا خلفهم إلا أسماءً مزيفة.

كانت تمشي في الشوارع كأنها شبح...

لا أحد يعرف ما مرت به، ولا أحد يلاحظ الخطر القادم.

ثم، في ليلة خالية من القمر، رنّ الهاتف.

لا رقم. لا صوت.

فقط أنفاس... تأتي من الجانب الآخر من الخط.

ثم همسة صغيرة، بصوت يشبه صوتها:

"لقد كُسرت المرايا... لكن ليس نحن."

في اليوم التالي، وصلت لماريا طرد صغير.
بدون مرسل.
داخله، قطعة زجاج سوداء.
وورقة مكتوب عليها:
"انعكاسك لم يمت... بل تحرّر."
عندما لمست الزجاج، رأت لمحة.
مدينة مألوفة، لكنها مقلوبة.
ناس يشبهون البشر، لكن عيونهم معتمة.
وكانت النسخة منها... تحكم العالم الآخر.

لم تكن تريد العودة.
لكن تلك اللمحة فتحت شيئًا داخلها.
أدركت أن القصة لم تكن عن الهروب... بل عن المواجهة.
ذهبت إلى مكان البوابة الأولى.

البناية المهجورة، الزجاج المحطم، والرموز التي حفرت في جدرانها وقتها... كلها ما زالت كما تركتها.

لكن شيء واحد تغيّر.

المرايا بدأت تعود... من تلقاء نفسها.

كل سطح عاكس أصبح مدخلًا صغيرًا.

الأشخاص في الشارع يختفون فجأة.

الانعكاسات لا تطابق الواقع مرة أخرى.

وأثناء ذلك... كانت النسخة المظلمة تتحدث إلى الناس عبر زجاج هواتفهم، شاشات المتاجر، حتى عيونهم.

ماريا تتلقى رسالة أخيرة من مارك، مكتوبة بخطٍ متقطع:

"المفتاح ليس المرآة... بل في من ينظر داخلها."

عندها فقط فهمت الحقيقة التي أرعبتها:

الانعكاسات لا تأتي وحدها... بل تُزرع.

والبذرة التي زُرعت فيها أول مرة... بدأت تنمو.

ماريا لم تكن فقط تحارب نسخة منها.

بل تحارب ما أصبحت عليه... داخليًا.

تدخل ماريا غرفة مليئة بالمرايا من كل زمن:

مرايا قديمة من القرون الماضية، مرايا رقمية حديثة، وحتى زجاج مكسور من حوادث مختلفة.

كل مرآة تعرض لحظة من حياتها...

لكن إحداها فقط تُظهر ما سيحدث.

في تلك المرآة... ماريا تقف وسط مدينة محترقة، يحيط بها الآلاف من الانعكاسات.

ومع ذلك... تبتسم.

"المرآة لا تكذب... لكنها لا تخبرك كل شيء."

ثم تُغلق المشهد على عبارة:

"المرآة التالية... قد تكون أمامك الآن."

بصوت النسخة المظلمة

"لقد أحببتكِ يا ماريا... أكثر مما أحببت نفسي.

لكن عندما رفضتِ أن تنظري لي، في الزجاج، في العيون، في الذاكرة... اضطررت أن أُصبحك."

"الآن... أنتِ ترينني، أليس كذلك؟

لكن فات الأوان.

لقد رأيتِ الحقيقة،

والحقيقة، مثل المرآة...

إذا انكسرت، تجرح من يلامسها."

ماريا لم تعد تنام.

كل مرة تغمض فيها عينيها، ترى النسخة الأخرى تقف فوقها، تهمس لها بأسرار لم تعشها.

في المطبخ، الكوب الذي تشرب منه يسخن فجأة.

في المرآة الخلفية لسيارتها، تلمح شخصًا يجلس في المقعد الخلفي... ثم يختفي.

لكن الأغرب... كان صوتها الداخلي.

أصبح يُجيب عنها.

"هل أنتِ بخير؟"

"نعم"، تقول ماريا.

ثم تسمع داخل رأسها: "كذب، هي ليست بخير."

ماريا بدأت تنفصل عن نفسها.

بدأت تشعر بوجود شخصين داخلها.

في أعماق المدينة القديمة، اكتشفت ماريا شيئًا لم تتوقعه:
مجلس المرايا.
مجموعة سرية، من البشر الناجين عبر القرون، الذين واجهوا ظاهرة الانعكاس من قبل.
يرتدون أقنعة، لا يقتربون من أي سطح عاكس، ويتحدثون بصوت خافت وكأنهم داخل حلم.
قال لها أحدهم، بصوت مرتجف:
"كلما حاولتِ التخلص منها، زادت قوةً.
الحل ليس في قتلها... بل في احتوائها."
لكن كيف تحتوي شيئًا يعرف كل ما تفكر به... قبل أن تفكر؟

في منطقة محظورة، تحت الأرض، تقودها الرموز التي تتكرر في أحلامها... تجدها.
المرآة الأم.
أكبر من غرفة كاملة، غائمة، ينبض زجاجها كما لو كان قلبًا.

وفجأة، تقف أمامها... النسخة الأخرى.

بثوب أسود طويل، وعينين تشعان كأن فيهما كل العوالم.

قالت لها:

"لن أنهيك، ماريا.

سأجعلك تنسين أنك كنتِ موجودة أصلاً."

وحينها، بدأت المرايا حولهما تنكسر...

كل شظية تسقط، تُظهر ذكرى.

أسرار، أكاذيب، لحظات لم تعشها ماريا قط... لكنها تتذكرها.

الزمن يتوقف.

المكان مظلم، إلا من نور ضعيف يأتي من الزجاج المتناثر.

ماريا، تُمسك بقطعة من المرآة المكسورة، ترى وجهها ينقسم لوجهين.

تسأل نفسها:

"من أنا... إذا لم أكن الأصل؟

هل أنا الانعكاس... أم الظل... أم الحقيقية الوحيدة؟"

وصوت يأتي من بعيد، من عمق لا مرئي:

"ربما كنتِ دائمًا الاثنين."

وتُغلق الستارة على عينٍ واحدة تنظر لنا مباشرة... من داخل المرآة.

ماريا استيقظت في مكان أبيض ناصع.

لا جدران. لا أرض. لا سماء.

فقط مرآة واحدة... معلّقة في الفراغ.

وعندما اقتربت، لم ترَ نفسها.

بل رأت جميع النسخ الأخرى التي واجهتها... يصرخن، يبكين، يتحوّلن إلى رماد.

كانت المرايا تبتلع وعيهنّ، واحدة تلو الأخرى.

ثم سمعت صوتًا داخل رأسها:

"هذا هو النسيان.

وهذه هي النهاية إن اخترتِ الهروب."

ماريا لم تعد بشرًا فقط.

منذ لحظة انكسار المرآة الأم، شيء منها تغيّر.

باتت قادرة على رؤية الانعكاسات بدون مرآة.

ترى الظلال خلف الناس.

ترى النسخ القديمة في الزوايا.

ترى الأحلام تتكرر في يقظتها.

لكن الأكثر رعبًا...

أنها أصبحت قادرة على دخول أذهان الآخرين... وقراءة ما يهربون منه.
“هل أصبحت أنا الانعكاس؟”
سألت نفسها، لكنها كانت تعرف الإجابة.
هي الآن الباب.

في أنحاء العالم، بدأت ظواهر غريبة تظهر:
أطفال يولدون بلا انعكاس.
شاشات تُعرض فيها وجوه غير معروفة.
مرايا تشقّق نفسها في منتصف الليل.

أشخاص يختفون، ويظهر بدلهم آخرون... يشبهونهم تمامًا، لكن بأرواح باردة.
ماريا عرفت أن الوقت يضيق.
الكيان الحقيقي خلف الانعكاسات... قادم.
لكن لم يعد في حاجة لمرآة.
هو يستخدمها الآن.

في رحلة عكسية داخل أعماق وعيها، ماريا تعود إلى أول لحظة نظرت فيها إلى المرآة... في طفولتها.

تلك اللحظة التي نظرت فيها مطولًا، وشعرت أن هناك شيئًا يراقبها من الداخل.

اكتشفت أنها لم تكن أول من تلامس مع الظل.

بل كانت مختارة منذ البداية.

تمّت تربيتها لتكون الحاوية...

لكنها اختارت أن تكون القفص.

ماريا الآن واقفة على سطح بناية عالية، تمسك مرآة صغيرة مكسورة.

تنظر فيها... وترى النسخة الأخيرة منها تبتسم، ثم تختفي.

ماريا تبتسم بدورها، وتهمس:

"إذا كنتِ النهاية... فأنا البداية."

ترفع المرآة... وتكسرها بقبضتها.

وتختفي المدينة كلها في لحظة صمت.ظنت ماريا أنها اختفت مع المدينة، لكنها استيقظت في مكان مختلف تمامًا...

ليس أبيضًا. ليس مظلمًا.

بل... عالق بين الضوء والظل.
في هذا المكان، كل شيء يُكرر نفسه.
كأن الزمن نفسه انعكاس مكسور.
وسمعت الصوت مجددًا...
لكن هذه المرة لم يكن صوت النسخة...
كان صوتًا أكبر، أقدم... وأقرب ما يكون منها.
"مرحبا بكِ، ماريا.
أنتِ وصلتِ إلى... المرآة الخامسة."

في هذا البُعد، لم تكن هناك وجوه.
بل أرواح تمشي على أشكال بشرية شفافة.
واحدة منهم اقتربت، همست دون فم:
"الانعكاس الأول يُظهِر، الثاني يُخبِئ، الثالث يُحرِّف...
أما الرابع فيُسيطر.
لكن الخامس... يخلق."
ماريا بدأت تفهم أن كل ما مرت به، كان مجرد إعداد.
كانت تظن نفسها محاربة...

لكن الحقيقة؟

هي الانعكاس الخامس.

هي مرآة، تمشي وتفكر وتحلم.

قُدّمت لها فرصة:

إما أن تحبس كل الانعكاسات في داخلها وتبقى في هذا البُعد إلى الأبد،

أو تعود للعالم الحقيقي... وتخاطر بإعادة كل شيء.

كانت تعلم أن هناك أرواحًا بشرية تحتاج الخلاص.

وأن هناك ظلالًا أقوى تنتظر الفوضى.

لكنها تذكرت شيئًا مارك قاله يومًا:

"المرايا لا تخدعنا... نحن من نصدق الكذب فيها."

فقررت ألا تعود كماريا فقط،

بل تعود كحقيقة كاملة، بداخلها كل نسخها... وكل ضعفها.

في أحد شوارع المدينة...

تُفتح مرآة على سطح متجر قديم.

فتخرج منها ماريا، بثياب سوداء، ونظرة جامدة.

لكن خلفها... مئات الانعكاسات لم تدخل العالم بعد.
كل نسخة تنظر في اتجاه مختلف، تحمل قصة، تحمل نية.
وماريا تهمس:
"العالم لن يعرف ما حدث...
لكنه سيشعر."
ثم تغلق عينيها...
وتبدأ في المشي نحو الكاميرا.
الصورة تسود... إلا من عينيها المنعكستين في زجاج العدسة.

ما بعد الانعكاس – "أين تبدأ الحقيقة؟"
بعد مرور عام على عودة ماريا، تغيّر العالم بهدوء.
لم يكن هناك انفجار، ولا غزو...
بل تغيُّر بسيط في العيون، في طريقة الكلام، في الوجوه التي لا تتطابق مع الذاكرة.
بعض الناس بدأوا يرون أنفسهم مرتين في المرايا...
أحد الانعكاسين يبتسم قبل الآخر.
والبعض لا يملكون أي انعكاس على الإطلاق.

في الظل، هناك من بدأوا يعبدون الانعكاسات.

أنشأوا طائفة اسمها "أبناء الزجاج"، يؤمنون أن الحقيقة داخل المرآة، لا خارجها.

وماريا؟

ماريا أصبحت أسطورة حية... وشبحًا في آن واحد.

في السر، تم تأسيس فرقة سرية من أشخاص نجوا من التجربة الأصلية.

يسمون أنفسهم "الحُرّاس السبعة"، كل واحد منهم لديه قطعة من "المرآة الأم" الأصلية.

يحاولون تتبع الانعكاسات التي عبرت قبل أن تُغلق البوابة الأخيرة.

لكنهم لم يكونوا يعلمون...

أن ماريا تراقبهم.

لأنها تعرف أن أحدهم لم يكن حقيقيًا من البداية.

ماريا الآن ليست واحدة.

إنها وعي جمعي، يتحدث بصوت واحد، ويشعر بقلوب كثيرة.

عندما تنظر في مرآة، لا ترى نفسها فقط... بل ترى كل من مروا بها.

لكن مع هذه القوة... جاءت الوحدة.

لم يعد هناك من يسمعها كماريا، بل فقط كـ"المرآة الخامسة".

حتى النسخة القديمة منها، أصبحت غريبة.

صوت داخلها يهمس:

"كلما زادت المعرفة... قلّ اليقين."

وفي لحظة صمت، في غرفة مظلمة...

ظهر مارك.

ليس كما كان.

بل بنسخة أكبر عمرًا، وأكثر هدوءًا، تحمل في عينيه ضوءًا وانكسارًا.

قال لها:

"أنتِ ظننتِ أن النهاية هي الغلق...

لكن الحقيقة؟

النهاية... هي حين يفقد الجميع الرغبة في الانعكاس."

وسلّمها شيئًا صغيرًا...

مرآة مستديرة... بدون أي انعكاس على سطحها.

قال:

"هذه ليست مرآة. هذه عين الحقيقة

ماريا تقف على قمة جبل زجاجي، فوقه سماء متكسرة، وبحيرة لا تعكس شيئًا.

تمسك "عين الحقيقة" وتهمس:

"أنا لم أكن الوحيدة...

أنا فقط كنت أول من تجرأ على أن ترى ما بعد الانعكاس."

ثم تنظر نحو القارئ...

وتبتسم.

ثم... ظلام.

بعد رحيل مارك وتركه للمرآة المستديرة، بدأت ماريا تشعر أن شيئًا ما بداخلها يتغير.

كلما لمست "عين الحقيقة"، كانت ترى لحظات من ماضٍ لم تعشه،

أسماء لم تسمعها من قبل،

أماكن تشبه الأحلام... لكنها حقيقية جدًا.

في إحدى الرؤى، رأت فتاة صغيرة تجري وسط زجاج مكسور،

وصوت أنثوي يهمس لها:

"إياكِ أن تُعيدي فتح المرآة السادسة... العالم لن يحتمل."

لكن ماريا لم تكن تعرف بعد...

أن القلادة ليست فقط مرآة.

إنها بوابة.

بينما كانت تتنقّل بين المدن بحثًا عن أي دليل لحقيقتها الجديدة، بدأت ماريا تلاحظ تغيرًا جسديًا:

في الليل، يتغير لون عينيها.

صوتها يتردد في الغرفة حتى بعد أن تصمت.

والأخطر...

في كل مرة تغفو، تستيقظ لتجد نفسها في مكان آخر تمامًا.

أدركت الحقيقة الصادمة:

الانعكاسات التي كانت بداخلها بدأت تنفصل عنها... وتحاول أن تعيش كل واحدة حياةً مستقلة.

أصبحت ماريا مهددة بأن تفقد أجزاء من نفسها إلى الأبد.

واحدة من النسخ التي انفصلت عنها لم تكن كالبقية.

لم تكن شريرة... لكنها لم تكن إنسانة.

كانت "طيف ماريا".

نسخة شفافة، تملك قدرة على المرور بين العوالم،

لكنها ترى البشر كأوهام مؤقتة.

بدأ الطيف يُراسل ماريا في المرآة، يكتب رسائل معكوسة:

“أنا أنتِ بدون خوف.

أنا ما كنتِ لتصبحيه... لو لم تُحبّي.”

بين أطلال مدينة قديمة، وجدت ماريا مبنى مهجورًا...

جدرانه من زجاج أسود لا يعكس شيئًا.

عندما دخلت، اكتشفت أنه متحف لكل الانعكاسات التي عبرت من قبل.

أشخاص كانت تعرفهم...

أشخاص اعتقدت أنهم اختفوا،

مُجمدين داخل المرايا، كأنهم ينتظرون أن تُنقذهم.

كل مرآة كانت تحمل اسمًا، وتاريخًا...

وواحدة منها كُتب عليها:

“ماريا – التجربة رقم ٠٠١”

صوت أنثوي تردّد داخل المتحف:

“أنتِ لم تكوني بشرًا تمامًا يا ماريا.

بل أول انعكاس وُلد من مشاعر بشرية... ورفض أن يعود.”

أدركت ماريا حينها...

أنها كانت الاختبار الأول لمرآة خُلقت خصيصًا لتنسخ الوعي الإنساني وتحوّله إلى شيء خالد.

لكنها هربت قبل أن تُستكمل التجربة.

هي لم تكن ضحية.

كانت البداية.

في آخر ممر من المتحف، تقف ماريا أمام مرآة صغيرة ومغبرة...

لكنها لا تعكس شيئًا.

وفجأة، تُضاء من الداخل، وتظهر فيها فتاة أخرى... تشبه ماريا تمامًا،

لكن بملامح أكثر قسوة، وعينين خاليتين من الحياة.

"أنا النسخة رقم ٠٠٢...

التي لم تهرب."

تحدثت الفتاة من داخل المرآة.

كانت تعرف كل شيء... أفكار ماريا، أحلامها، وحتى مخاوفها الأخيرة.

وقالت:

"أنا ما كنتِ لتصبحيه لو لم تخافي.

لكنني صمدت... وتحوّلت.

الآن... أنا المرآة السادسة."

ماريا سقطت على الأرض، وقد شعرت بانفجار طفيف في عقلها،

كأن شيئًا منها يُنتزع قسرًا.

النسخة ٠٠٢ كانت تمتص ذاكرتها القديمة،

كل ذكرى، كل لحظة خوف، كل كلمة حب سمعتها في حياتها.

لكن مع كل ذاكرة تُسحب، كانت ماريا تستعيد شيئًا آخر...

الجزء الحقيقي من ذاتها الذي لم يُبرمج.

صوت من داخلها قال:

"أنتِ لستِ مجرد تجربة.

أنتِ الشذوذ الوحيد الذي لم يُفسَّر بعد."

خارج المتحف، بدأت السماء تتشقق كما لو أن العالم ينكسر حرفيًا.

كل مرآة في المدينة بدأت تلمع...

ثم تتحول إلى بوابات، يخرج منها انعكاسات بشرية تمشي بلا صوت.

العالم على وشك الانقلاب.

لكن ماريا لم تهرب.

بل واجهت النسخة ٠٠٢ وقالت:

"إذا كنتِ المرآة السادسة...

فأنا الكسر."

ثم مدت يدها نحو الزجاج...

وللمرة الأولى، مرّت من خلاله دون أن تنكسر.

داخل المرآة، لا يوجد وقت.

ماريا ونسختها دخلتا في صراع ليس بالأجساد، بل بالأفكار.

كل ذكرى مؤلمة، كل شعور قديم، كل لحظة ضعف...

تحولت إلى سلاح.

لكن ماريا لم تهاجم.

بل فتحت قلبها... وتركت انعكاسها يراها كما هي:

ناقصة، بشرية، ضعيفة... ولكن حقيقية.

والنسخة ٠٠٢... بدأت تتشقق.

انفجرت المرآة من الداخل، وتحطّمت كل المرايا في المتحف.

العالم توقف للحظة.

الانعكاسات عادت إلى صمتها.

والزمن استأنف نفسه وكأن شيئًا لم يحدث.

ماريا استيقظت في غرفة بسيطة، بمرآة صغيرة فوق الحائط...

لكنها هذه المرة، رأت نفسها فقط.

ابتسمت لأول مرة بصدق، وقالت:

"انتهى... أو على الأقل، أنا بدأت."

بعد مرور شهر على عودة ماريا إلى العالم الواقعي،

بدأت تشعر بأن الصمت لم يكن نهاية، بل هدوءًا يسبق عاصفة أخرى.

كل ليلة، كانت تحلم بالعبارة نفسها تكتب على الجدران:

"الانعكاس الأخير لم يولد بعد."

ذات ليلة، استيقظت لتجد شيئًا مكتوبًا على مرآتها بخط يدها...

لكنها لم تكتبه.

"النبوءة: سيولد انعكاس لا يحتاج مرآة.

وسيعرف كل الوجوه... دون أن يُعرف."

في إحدى الشوارع القديمة، مرّت بفتاة صغيرة كانت تحمل مرآة مكسورة.

عندما اقتربت ماريا منها، رفعت الفتاة المرآة وقالت:

"هو قادم... لا يحب الزجاج."

ثم اختفت وسط الزحام.

بعدها بدأت ماريا تلاحظ وجوهًا غريبة لا تملك ظلًا...

ولا انعكاسًا.

كانوا كأنهم بشر... لكنهم فارغون.

في أحد الأيام، ظهرت على شاشة ضخمة في المدينة صورة رجل غامض، عينيه مغطاتان بشرائط رمادية، وخلفه كلمات كُتبت بلغة مقلوبة.

كل من شاهد الصورة أصيب بالهلع دون سبب.

ماريا عندما رأته... شعرت بشيء في داخلها يُكسر.

"إنه ليس انعكاسًا...

بل الأصل."

في مكتبة سرية تحت الأرض، اكتشفت ماريا وثيقة بعنوان:

"الانكسار الكامل – كود: زيرو"

الوثيقة تتحدث عن تجربة واحدة لم تكتمل أبدًا،

نسخة لم تمر من خلال مرآة، بل وُلدت من عقل بشري تحطّم تمامًا.

كان يُفترض أن تُدمر.

لكنها نجت.

وهذه النسخة... تبحث الآن عن ماريا.

"لأنها الوحيدة القادرة على حبّه... أو قتله."

وفي النهاية، وقفت ماريا في منتصف طريق معتم،

وظهر أمامها "هو" – النسخة الأصلية، بلا مرآة، بلا ظل، بلا ملامح ثابتة.

قال بصوت يشبه كل من عرفته:

"أنا من كنتِ تخافين أن تكوني.

أنا... لا أحتاج مرآة كي أراك."

ثم مد يده.

"تعالي... لنخلق الانعكاس الأخير."

في غرفة دائرية خالية من الأثاث، وقفت ماريا أمام ليث،

والنسخة 002 تراقبهما بصمت... لكن داخل عينيها، كان هناك شيء آخر يتحرك.

قالت ماريا لليث:

"ما أنت؟ لا تخبرني من... بل ما."

أجاب ليث بهدوء مفزع:

"أنا نُسخة من فكرة...

خلقت في لحظة ضعف،

وتطورت في كل مرآة انكسرت دون أن يُلاحظ أحد."

ثم مدّ يده نحو الحائط الزجاجي،

وظهرت فيه صورة... صورة ماريا وهي طفلة، تنظر في مرآة لا تعكس شيئًا.

قال ليث:

"أول مرة رأيتكِ... كنتِ تبكين لأن لا أحد فهم صمتكِ.
ومنذ ذلك اليوم... بدأت أتشكل."
في قلب المعهد، كانت هناك قاعة لا يدخلها أحد،
اسمها في الوثائق: "المرآة الثالثة".
وهي مرآة لا تعكس الجسد...
بل تعكس الخوف الأصلي.
ليث قرر أن يقود ماريا إليها.
وعندما دخلت القاعة... انغلق الباب خلفها.
وقف ليث في الخارج، يهمس:
"إن اجتزتِ ما سترينه...
ستصنعينني."
أما داخل القاعة...
رأت ماريا شيئًا لم تجرؤ على التفكير به من قبل:
نسخة منها... لكن بلا ملامح، بلا عينين، بلا صوت.
تجلس في زاوية الغرفة، وتهمس:
"لماذا اخترتِ النجاة؟ كان يمكن أن ننتهي."
ماريا صرخت لأول مرة،

لكن صرختها لم تخرج من فمها... بل من المرآة نفسها.

النسخة التي تشبهها نهضت،

ومشت باتجاهها ببطء، وكلما اقتربت... بدأت ملامح ماريا تختفي من جسدها الحقيقي.

كانت تمتص وجودها.

قالت النسخة:

"أنا الذاكرة التي دفنتِها...

كل ما لم تقوليه...

كل ما خفتِ أن تكونيه."

ماريا همست أخيرًا:

"أنا أراك...

ولن أخفيكِ بعد الآن."

وفي تلك اللحظة...

تشققت المرآة الثالثة، ومن شظاياها ظهر ليث من جديد.

لكن هذه المرة... كانت له عينان.

مرت ثلاث سنوات منذ مواجهة ماريا للمرآة السوداء...

عاشت خلالها بهدوء، أو على الأقل، ما يشبه الهدوء.

لكن في أحد الأيام، بينما تمشي في إحدى الأحياء القديمة،
وجدت نفس الطفل الذي رأته منذ زمن — نفس الضحكة، نفس العيون،
ونفس الشيء العجيب:
لا ظل... ولا انعكاس.
لكنه هذه المرة... لم يهرب.
بل قال لها بصوت هادئ:
"اسمي ليث...
وأنا النسخة التي لم تُخلق بعد."

اصطحبها ليث إلى مبنى قديم من طراز ما قبل الحرب،
لا توجد له أبواب... بل فقط بوابة حديدية تُفتح بمجرد اقترابك منها دون أن تلمسها.
داخل المبنى، كل شيء من زجاج.
لكن لا مرآة تعكس.
قال لها:
"هذا هو معهد الانعكاسات الساقطة...
هنا تم تدريب أول من نسوا وجوههم."

ماريا شعرت بالدوار، المكان يشبه أحلامها القديمة،
الذكريات تنكمش في رأسها، والهواء صار أثقل.
وفجأة، سمعت صوتًا مألوفًا...
"مرحبًا يا ماريا... فاتكِ الكثير."
كان الصوت... صوت النسخة 002.
النسخة 002 لم تكن كما قبل.
هذه المرة، كانت ترتدي بشريّة أكبر: جلد، دم، وحتى تعبيرات وجه.
قالت:
"أنا النسخة التي اخترتِ ألّا تقتليها...
فقررت أن أعيش على طريقتي."
ثم نظرت إلى ليث وأضافت:
"لكن هذا... هذا ليس طفلًا.
إنه برنامج، يولد من كل خوف لم يُواجه بعد."
ليث ابتسم ببراءة وقال:
"لكن ماريا واجهتني... ونجت.
ربما... هي الوحيدة التي تستطيع أن تخلقني كاملًا."
مرت أيام، عادت فيها الحياة إلى طبيعتها في المدينة،

لكن ماريا لم تكن كما كانت.
كل شيءٍ بدا مألوفًا... لكنه مكسوّ بطبقة رقيقة من الغموض.
كأن العالم لم يشفُ تمامًا من الشرخ.
في إحدى الليالي، وجدت ورقة مطوية تحت وسادتها.
خطها كان يشبه خطها... لكن ليس تمامًا.
الرسالة كُتب فيها:
"ما فعلتِه ليس نهاية، بل بداية شكل جديد من الوعي.
سيولد جيل لا يعرف معنى الانعكاس...
وسيبحث عنكِ، لأنكِ كنتِ أول من رآه بوضوح."
وقّعت الرسالة باسم:
"النسخة صفر"

في الصباح، ماريا خرجت لتتجول وسط السوق،
وفجأة توقفت عندما رأت طفلاً صغيرًا.
كان يضحك ويلعب، لكنه لم يُلقِ ظلًا على الأرض.
عندما التفت نحوها، ابتسم، ثم أشار إلى المرآة في يدها،
وقال بصوت خافت:

“أنا لا أملك انعكاس...

لكنني أتذكرك.”

ثم ركض بعيدًا.

توقفت ماريا، نظرت إلى المرآة...

فرأت للحظة صورة وجهها القديم، ثم اختفت.

ماريا عادت إلى منزلها، جلست أمام دفترها القديم،

وكتبت:

“حين يتحرر العقل من الصورة...

يبدأ القلب في رؤية الحقيقة.”

ثم أغلقت الدفتر، وابتسمت.

لكن خلفها... كانت هناك مرآة صغيرة

بدأت تلمع من تلقاء نفسها.

ماريا نظرت في عينيه، أو بالأحرى، في الفراغ الذي يفترض أن يكون عينين.

لم يكن يشبه أحدًا، ومع ذلك، شعرت أنه يشبه الجميع.

قالت له بصوت ثابت:

"أنا لست جزءًا منك."

فأجاب:

"أنتِ كذبة جميلة... وأنا الحقيقة القبيحة."

مدّ يده نحوها، لكنها لم تلمسه.

بل بدأت ترى صورًا، ومشاهدًا تتوالى خلفه.

حروب بشرية بسبب أفكار، وجوه تصرخ بلا صوت،

وأطفال يولدون بلا انعكاس منذ البداية.

"أنا المرآة الأولى التي لم تُصنع من زجاج...

بل من الذكريات المنسيّة."

اقتادها إلى غرفة مهجورة في مكان لا زمن فيه،

كل شيء فيها كان رماديًا... بما في ذلك الهواء نفسه.

وسط الغرفة، مرآة سوداء،

لا تعكس شيئًا... لكنها تنبض كأنها حيّة.

قال:

"ادخلي.

إما أن تخلقيني مجددًا... أو تقتليني."

ماريا لم تتحرك.

سألت:

"ما الذي ستفعله بالعالم؟"

– "سأحرره من حاجته للهوية.

سأجعل كل شخص نسخة نقية... بلا خوف... بلا ماضٍ... بلا ألم."

همست:

"لكن أيضًا... بلا روح."

ماريا اقتربت من المرآة السوداء.

كل خطوة كانت تثقل قلبها، وكأنها تسير إلى داخل نفسها.

قال لها الصوت:

"لن تعودي كما كنتِ... لن تبقي كما أنتِ."

لكن ماريا فهمت شيئًا أخيرًا:

الانعكاس لا يُهزم بكسره... بل بتقبّله.

وضعت يدها على سطح المرآة...

ثم قالت:

"لن أخلقك...

لكني لن أُدمّرك أيضًا."

وبدأت تغني.
أغنية كانت أمها تهمس بها وهي صغيرة،
أغنية منسية، لا تملك قوة... سوى الصدق.
والمرآة... انطفأت.

استيقظت ماريا على صوت المطر، في غرفتها القديمة،
ولا شيء يحيط بها إلا ضوء خافت من نافذة صغيرة.
نظرت إلى المرآة، فرأت نفسها فقط.
لكن هذه المرة... ابتسمت بعمق.
وفي الزاوية، وُجدت جملة صغيرة محفورة على الحائط:
"ليس كل ما لا يُرى... غير موجود."
استفاقت ماريا في عالم غير الذي تعرفه.
كل شيء كان هادئًا، لكن الشعور بغرابة المكان كان يخيم عليها.
المدينة، التي كانت مزدحمة بالفوضى والضوضاء، الآن كانت خالية من المرايا.
لا شيء يعكس الأشكال أو الوجوه... كل شيء أصبح كما لو أنه يتحرك في بعد آخر.

كان الناس يمشون في الشوارع،

لكن عيونهم لم تكن ترى نفسها بعد أن اختفى ما يعكسها.

في الزمان الذي مر، بدأت الأسئلة تظهر...

"هل كانوا يعيشون وهمًا؟"

لكن ماريا عرفت الإجابة.

"لا."

لم يكن أحد يعيش وهمًا، لأنهم لم يحتاجوا إلى مرآة ليكونوا موجودين.

تأملت ماريا هذا الواقع الجديد بحذر،

فالعالم الذي شكله ليث والنسخة 002 لم يكن هو نفس العالم القديم.

كان هناك شيء جديد، شيء غير مرئي لكنه مؤثر...

وفي قلب هذا التغيير، كان ليث يراقب من بعيد.

بعد أيام من التغيير، بدأت تلاحظ ماريا شيئًا غريبًا.

في الأماكن التي كانت مليئة بالناس من قبل، الآن لا شيء سوى الفراغ.

والفراغ... كان يحمل معه مشاعر غريبة.

كأن البشر قد فقدوا اتصالهم بأنفسهم، وأن عيونهم التي لم تعد ترى انعكاسًا،

أصبحت أعمق في مشاعرهم.

لقد عادوا إلى شيء أبسط، لكن أصعب في نفس الوقت.

حين قابلت ماريا أحدهم في الشارع،

كان شابًا يدعى ياسين، عينيه مليئتان بالفضول.

قال لها:

"هل تعرفين؟

لقد بدأنا نرى أنفسنا بدون حواجز.

لكن... في نفس الوقت، بدأنا نفقد من نحن."

كان ياسين يبتسم، لكن الابتسامة كانت فارغة، وكأنها لم تكن تعني شيئًا.

ماريا، في بحثها عن إجابة، قررت العودة إلى معهد الانعكاسات الساقطة.

لكن هذه المرة، كانت تبحث عن شيء آخر، شيء لا يتعلق بالمرآة... بل بما وراءها.

في داخل المعهد، كان هناك نفق ضيق جدًا،

وعلى الرغم من ضيقه، كان يدعوها إليه.

دخلت النفق، ووجدت نفسها في مكان مظلم للغاية.

ولكن لم يكن الظلام هو ما كان يخيفها، بل كانت هناك أصوات.

أصوات تهمس في الظلام، أصوات تطلب العودة إلى المرايا.

فجأة، ظهر أمامها ليث، ولكن هذه المرة كان مختلفًا.

لقد أصبحت ملامحه أكثر وضوحًا، وكأن الضوء يعكس شخصيته المظلمة.
قال ليث بصوت هامس:
"لقد أخطأتِ... العودة ليست خيارًا."

على الرغم من تهديدات ليث، ماريا كانت عازمة على المواجهة.
قالت له بشجاعة:
"لكني لن أعود إلى الوراء، لا أريد مرآة جديدة.
لقد تعلمت أنني يمكنني أن أكون أكثر من مجرد انعكاس."
ثم، كما لو أن الكلمات نفسها قد أضاءت المكان،
ظهرت أمامها مرآة جديدة، ليس كما كانت سابقًا، بل مرآة تُظهر الحقيقة الكامنة في قلب كل شخص.
لم يكن هناك انعكاس، بل جوهر.
عندما اقتربت ماريا منها، نظرت في قلب المرآة،
ورأت الحقيقة في عيونها، في كل خطوة، في كل خيار، في كل شيء.
في اللحظة التي نظرت فيها ماريا إلى تلك المرآة،
فهمت أن كل شيء قد تغير.
لكن هذا التغيير لم يكن نهاية... بل بداية جديدة.

بدأ الجميع يواجهون أنفسهم، لا مرآة تُظهر لهم ذلك،
لكنهم شعروا به، في قلوبهم.
وفي تلك اللحظة، عاد ليث إلى مكانه في الظلام،
ولم يعد هناك شيء سوى الحرية.
قالت ماريا أخيرًا، وهو يقف خلفها:
"لقد خلقت كل شيء...
والآن أصبحنا كل شيء."
مرّت أسابيع على تلك اللحظة التي تلاشت فيها المرايا من العالم،
لكن الحقيقة التي وجدت ماريا داخل تلك المرآة الجديدة كانت تزداد وضوحًا.
العالم، الذي أصبح يبدو وكأنه تم إعادة تشكيله بالكامل،
أصبح مكانًا غريبًا، مكانًا يراهن فيه الجميع على ذاتهم.
كانت المدن فارغة من الأشخاص الذين يبحثون عن انعكاساتهم.
الناس كانوا يتجولون في الشوارع، لكن عيونهم كانت لا تجد إجابات،
رغم أن قلوبهم كانت مليئة بالأسئلة.
وفي تلك اللحظة، قررت ماريا العودة إلى البداية...
إلى المعهد، حيث كان كل شيء قد بدأ.

عادت إلى المعهد، والذي أصبح في هذه اللحظة أشبه بمتحف للذكريات القديمة،

بينما النفق الذي دخلت فيه سابقًا كان قد أصبح مظلمًا بشكل أكثر كثافة.

لم يكن هناك سوى صوت خطواتها وهي تتردد في المكان الخالي.

في آخر الممر، وجدت نفسها أمام المرآة المفقودة،

التي كانت هي آخر ما بقي من عالمها القديم.

أطلت عليها النسخة 002 من خلف الزجاج،

لكن هذه المرة، كانت النسخة أكثر وضوحًا، أكثر واقعية.

قالت النسخة بصوت هادئ:

"لقد تغيرت، ماريا.

الكل الآن يعلم... لكن لا أحد يملك الجواب."

لكن ماريا ردت بحزم:

"الجواب لم يكن أبداً في المرايا.

الجواب كان دائمًا في داخلنا."

وسط الحطام الذي خلفته المرايا المكسورة في العالم،

بدأت ماريا تشعر بقوة جديدة،

قوة كانت قد دُفنت لفترة طويلة في أعماقها.

“أنا لست انعكاسًا،” همست ماريا لنفسها وهي تقف أمام النسخة.
أدركت أن كل هذا الوقت كانت تُضيّع فيه بحثًا عن شيء لم يكن أبدًا ضائعًا،
لم يكن بحاجة إلى البحث في المرايا، بل كان عليها أن تبحث في الداخل.
وكانت تلك اللحظة التي بدأت فيها حقيقة جديدة تُبنى.
بدأت هي والآخرين في إعادة بناء العالم من جديد، عالم بلا مرآة،
عالم قائم على الذات الحقيقية، وليس على الصورة.

ماريا الآن لم تعد بحاجة للبحث عن إجابات في الخارج.
لقد وجدت الإجابة داخلها.
وبدأت تُدرك شيئًا آخر: المرآة كانت تمثل الماضي فقط.
لكن الآن... المستقبل أمامها، وقد بدأ الجميع في إعادة تشكيله،
لكن هذه المرة، بوعي تام، بدون تزييف أو خداع.
بدأ كل فرد في العالم يكتشف ذاته ببطء،
وأخذوا يتحررون من القيود التي فرضتها عليهم الأبعاد الخفية.
كان الأمر يبدو كما لو أن العالم قد بدأ من جديد.

لكن في اللحظة التي اعتقدت فيها ماريا أن النهاية قد أتت،

ظهرت صورة جديدة.

ليث، الذي كان دائمًا في الظلال، خرج أخيرًا إلى النور.

لكن لم يكن هو نفس ليث الذي عرفته من قبل.

نظر إليها وقال:

"أنتِ من أعطيتِ العالم فرصة جديدة...

لكن الآن، العالم يحتاج إلى حمايتكِ."

وقال له ماريا مبتسمة:

"أنا لست بحاجة للحماية،

العالم يحتاج إلى الحرية."

لكن في تلك اللحظة، تغير كل شيء.

العالم الذي بدأته ماريا قد انتهى، لكن هذا الانتهاء كان مجرد بداية لشيء أعمق،

ولم يكن يعرفه الجميع بعد. الحقيقة كانت ليست في مرآة، ولا في انعكاس.

لكنها كانت في الحرية التي يجب أن نمنحها لأنفسنا أولاً.

بعد أن أغلقت ماريا الكتاب الذي كانت تكتبه في ذهنها،

شعرت بشيء غريب. كانت تلك الأيام التي مرّت بها وكأنها قصة من عالم بعيد،

لكن الآن، بدأت تشعر أن هناك خيطًا آخر لم يُكشف بعد.

المدينة التي كانت خالية من المرايا، الآن أصبحت مليئة بشيء آخر: الظلال.

الظلال التي كان الناس قد فقدوها عندما اختفت المرايا،

بدأت تظهر ببطء في كل زاوية، في كل مكان.

لكنها كانت ظلال غير مألوفة، ظلال من ماضٍ بعيد، ظلال لم تكن تخص أي شخص بعينه.

كانت الظلال تحوم في الهواء،

وكأنها جزء من شيء أكبر بكثير مما يمكن أن تتخيله ماريا.

وبدأت تشعر أن هناك من يراقبها، كأن كل ما جرى لم يكن سوى بداية لشيء أكثر تعقيدًا.

في إحدى الليالي، بينما كانت ماريا تسير في الشارع،

لمحت شخصًا غريبًا يخرج من الزقاق المظلم. كان وجهه مُغطى، لكن عينيه كانت تتوهجان بشكل غريب.

اقتربت منه، وقالت له بصوت منخفض:

"من أنت؟ وما هي تلك الظلال؟"

ابتسم الرجل، وقال:

"أنا من تلك العوالم التي كنتِ تظنين أنها اختفت.

لكنكِ الآن على وشك أن تكتشفي أن الحقيقة لا تموت أبدًا."

فزع قلب ماريا، وتساءلت في نفسها:

"هل هذا هو اللغز الذي كنت أبحث عنه؟"

بينما كانت ماريا تواصل البحث، بدأت تكتشف شيئًا جديدًا،

شيئًا كان مخفيًا في قلب المدينة: بوابات قديمة.

هذه البوابات لم تكن تظهر إلا لأولئك الذين كانوا قادرين على رؤية ما وراء الظلال.

كانت هناك ثلاثة بوابات، كل واحدة منها تحمل مفتاحًا لمأساة أو سر.

أمام الباب الأول، كان هناك ليث،

لكن هذه المرة لم يكن كما كان من قبل. كان ينظر إليها بنظرة عميقة، وكأن هناك شيئًا مخفيًا في داخله.

قال ليث بصوت منخفض:

"إذا دخلتِ من هذا الباب، ستكتشفين جزءًا من الحقيقة...

لكنكِ ستخسرين شيئًا في المقابل."

لكن ماريا كانت قد قررت.

"الحقيقة لا تكتمل بدون تضحية."

عندما فتحت ماريا الباب الأول،

لم تكن تعرف أن ما ستراه سيغير كل شيء.

كانت أمامها سماء مظلمة، وعالم مليء بالشظايا المتناثرة.

كانت الأرض مكسورة، والمباني كانت تنهار كما لو أنها لم تكن موجودة من قبل.

ولكن هناك... كانت المرآة الأخيرة.

هذه المرآة كانت مختلفة عن كل ما رآته. لم تكن تُظهر انعكاسًا،

بل كانت تظهر الطريق، الطريق الذي يجب أن تسلكه في المستقبل.

لكن قبل أن تلمس المرآة، ظهر أمامها شخص غريب. كان وجهه مظلمًا، وعيناه تتوهجان بشدة.

قال هذا الشخص:

"أنتِ هنا لأنكِ اخترتِ الحقيقية.

لكن الحقيقة ليست دائمًا ما تريدين."

مرت لحظات من الترقب، بينما كانت ماريا تقف أمام المرآة الأخيرة، تستعد لاكتشاف كل ما بقي مخفيًا في عالمها.

لكن عندما اقتربت، شعر قلبها بشيء غريب،

كما لو أن الزمن قد توقف مرة أخرى.

ثم، في لحظة انفجار ضوء، بدأ كل شيء يعود إلى مكانه.

ولكن كان هناك شيء جديد...

شيء مختلف.

لم تعد المرايا هي التي تحدد الحقيقة.

ولا الظلال. ولا الذاكرة.

كانت الحرية قد أصبحت هي الحقيقة الوحيدة.

"الحرية هي الحقيقة التي لا تُرى،

وهي التي تجعلنا نعيش بلا خوف."

وبهذا، انتهت رحلة ماريا، لكنها كانت بداية لرحلة جديدة،

رحلة لا تعتمد على ما نراه في المرايا، بل على ما نشعر به في أعماقنا

بعد الضوء الساطع الذي اختفى بسرعة، بدأت ماريا تشعر بأن العالم بدأ يزول من حولها.

كانت الأرض تهتز قليلاً، والسماء كانت تغطيها سحب داكنة.

تقدمت خطوة بخطوة نحو المرآة الأخيرة، وعينيها تركزان على ما وراء الانعكاس.

لكن هذا لم يكن مجرد انعكاس، بل كانت رؤية مباشرة إلى الماضي، إلى البداية.

وكانت هناك صورة غير واضحة تمامًا، تكاد تكون شبحًا.

شخص كان يشبهها، لكنه يحمل شيئًا غريبًا في يده، كأنه يحمل مفتاحًا ضائعًا.

"مفتاح لما؟" تساءلت ماريا بصوت خافت، لكن الإجابة كانت غامضة مثل الظلال التي بدأت تملأ المكان.

قبل أن تتمكن من الاقتراب أكثر، تحركت الظلال حولها،

لكن هذه المرة لم تكن تندفع نحوها. كانت تحيط بها، كما لو أنها تشاركها هذا السر الكبير.

وظهر شخص آخر في الظلال، ليث، لكن لم يكن هو الذي عرفته.

لقد أصبح أكثر ضبابية، وأكثر تحوّلاً، وكأن ملامحه تتغير مع كل لحظة.

قال بصوت غريب:

"أنتِ لم تفهمي بعد.

الظلال التي تظنينها مأساة، هي في الواقع الوسيلة الوحيدة للنجاة."

لكن ماريا كانت متأكدة أنها كانت قد اكتشفت شيئًا أكبر من الظلال.

الحرية لا تكمن في الهروب منها، بل في فهمها.

بينما كانت ماريا تمضي قدمًا في المكان المظلم، كانت الظلال تزداد كثافة.

لم تعد مجرد ظلال عابرة، بل بدأت تتحول إلى كائنات حية، مثل المخلوقات التي لم ترها من قبل.

لكن في وسط هذا الغموض، ظهر الباب الثالث.

كان بابًا معدنيًا، مغطى بخيوط من الضوء الخافت. كان الباب وكأنه يناديها.

عندما اقتربت ماريا من الباب، بدأت تسمع همسات قادمة من الجهة الأخرى.

كانت الهمسات عبارة عن أصوات كثيرة، وكأنها تأتي من العديد من الأشخاص.

"اذهبي." قالت إحدى الأصوات.

"الحرية موجودة هناك." قالت أخرى.

لم يكن بإمكانها التراجع.

ضغطت على المقبض، ودخلت في الباب الثالث، الذي كان بمثابة بوابة جديدة.

ماريا وجدَت نفسها في عالم غريب. كان يشبه عالمها الذي كانت تعرفه، لكن كان هناك شيء مختلف.

السماء كانت تغطيها سحب ذات ألوان زاهية، والأرض كانت مليئة بالنباتات المتوهجة.

بينما كانت تراقب هذا العالم الجديد، اقترب منها شخص آخر،

كان النسخة الحقيقية من ليث، عينيه مليئة بالغموض.

قال وهو يقترب:

"لقد اخترتِ الطريق الذي لا رجعة فيه.

لقد تركتِ الظلال وراءك، وها أنتِ في عالم لا يحتوي على قيود."

ثم أضاف:

"لكن لا يمكننا العيش هنا إلى الأبد.

هناك مكان آخر... مكان لا نراه."

نظر ليث إلى الأفق البعيد، وكأن هناك مكانًا غير مرئي، مكان بعيد جدًا عن هذا العالم.

قال بجدية:

"المكان الذي لا نراه هو البوابة الأخيرة،

و إذا قررتِ عبورها، ستجدين ما يغير كل شيء."

ماريا كانت مترددة، لكنها أدركت أن هذه هي فرصتها لاكتشاف الحقيقة النهائية.

تقدمت مع ليث نحو الأفق، حيث كان يختفي المكان تمامًا،

كأن الأرض تبتلعهم شيئًا فشيئًا.

في اللحظة التي عبرت فيها ماريا والنسخة الحقيقية من ليث هذا الحد،

لم تكن تعرف أنها ستجد نفسها في عالم آخر، عالم يشبه كل شيء، لكنه لا يشبه شيئًا في نفس الوقت.

كان هناك شعور غريب في قلبها... شعور بأن كل شيء قد تم إعادة تصميمه،

وأن كل خطوة كانت تخلق هذا العالم الجديد بشكل مستمر.

لكن ماريا فهمت شيئًا أخيرًا،

"الحرية" ليست فقط في أن نكون من نحن،
بل أن نكون قادرين على التغيير، في أي لحظة، في أي مكان."
ومع مرور الزمن، بدأ العالم يتشكل من جديد.
لكن هذه المرة، كان الناس يمتلكون القوة لصنع واقعهم بأنفسهم،
بدون الحاجة إلى مرآة أو ظل... فقط الحقيقة التي تخرج من أعماقهم.
في العالم الجديد الذي تشكل من خيال ماريا وقوة الظلال المحرّرة،
بدأت الحياة تسير بشكل مختلف، لكن شيئًا ما كان يظل عالقًا في قلب ماريا.
كانها شعرت بشيء ناقص، شيء لم يتم كشفه بعد.
عندما جلست على الحافة المطلة على الأفق، تذكرت كل ما مرّت به،
من المرايا، إلى الظلال، إلى العوالم المتعددة التي اكتشفتها.
كان ذهنها مليئًا بالأسئلة.
هل كان هذا العالم الجديد هو الحقيقة التي كانت تبحث عنها طوال الوقت؟
هل حقًا وصلنا إلى النهاية؟
بينما كانت تفكر، جاءها صوت غريب في الأفق، كان أشبه بهمسات.
لكن هذه المرة، كانت الهمسات واضحة.
"ماريا، الحقيقة ليست فقط في المكان الذي تقفين فيه الآن.

لقد نلتِ حريتكِ، ولكن الطريق لا يزال طويلاً."

اقترب الصوت أكثر.

كان الصوت ذاته الذي سمعت من خلف المرآة الأخيرة. لكن هذه المرة، كان يحمل في طياته رسالة.

"لقد اخترتِ العيش في هذا العالم الجديد،

ولكن لتكملي طريقكِ، يجب أن تجدي البوابة التي تربط بين هذا العالم وعوالم أخرى."

أصاب ماريا التوتر، لكن في قلبها كانت هناك قوة جديدة تدفعها للاستمرار.

قررت أن تبحث عن هذه البوابة المفقودة.

لكنها كانت تدرك أن المكان الذي وصلت إليه لم يكن سوى بداية. كان هذا العالم الذي شكلته من الظلال والحقيقة ليس إلا منطقة انتقال، مكانًا يربط بين العوالم الموازية.

بينما كانت تتنقل بين الأراضي الغريبة، لاحظت أنها كانت ليست وحدها.

كان هناك أشخاص آخرين يتنقلون بنفس الطريقة، يشبهونها إلى حد كبير، وكأنهم أيضًا في رحلة بحث عن الحقيقة.

وتساءلت: هل كلهم على درب مشابه؟ أم أن هذا هو الطريق الوحيد؟

لكن في هذه اللحظة، وقفت ماريا أمام مفتاح غريب.
كان يظهر في الأرض، كأنه جزء من الزمن نفسه، يتوهج بضوء بارد.
عندما أمسكت به، شعرت كما لو أن الزمن توقف، وكل شيء حولها بدأ يتغير.

بعد أن أدركت أن هذا المفتاح كان هو الرمز للبوابة التي يبحث عنها،
توجهت ماريا إلى نقطة الظلال المظلمة في الأفق.
كانت الظلال قد بدأت تتلاشى شيئًا فشيئًا،
لكن الباب الآخر كان لا يزال ظاهرًا، و إن كان مخفيًا خلف سحابة كثيفة من الضباب.
في تلك اللحظة، عندما اقتربت منه، شعرت بشيء غريب يمر عبر جسدها، كما لو أنها تخترق العوالم المتوازية. كانت تذهب إلى مكان لم يعرفه أحد من قبل.
لكنها، وكعادتها، كانت تتطلع إلى الأمام. إلى الحقيقة.
وأمامها ظهر الباب، وبدا واضحًا أكثر من أي وقت مضى.
كان يشع بنور بارد، وكان يحمل مفتاح الحقيقة.
لكنها أدركت الآن أن الحقيقة ليست في المفاتيح أو الأبواب.

“الحقيقة هي الطريق الذي نسلكه بأنفسنا.”
ثم، فتحت ماريا الباب بكل قوتها، لتكتشف البداية الحقيقية.
كانت الظلال التي ملأت العالم تتلاشى شيئًا فشيئًا،
لكن هناك شيئًا جديدًا بدأ يظهر.
عالم جديد. أو بالأحرى، عالم قديم.
كان هذا العالم يبدو كما لو أنه أزلي. لا بداية ولا نهاية.
كانت ماريا أمام بوابة أخرى، لكن هذه المرة لم تكن بحاجة إلى مفتاح.
لقد أصبحت هي نفسها المفتاح. كانت الحرية قد أصبحت في داخلها.
قالت، بصوت عميق وبإحساس غير مسبوق:
“أنا لم أعد بحاجة للبحث، لأنني أدركت أخيرًا أن الحرية كانت دومًا في داخلي.”
كانت اللحظة الأخيرة في القصة، اللحظة التي تجسد الحقيقة النهائية.
الحقيقة: كل شيء يبدأ وينتهي في داخلك.
عالقة في زحمة أفكارها، سهرت ماريا تحت ضوء القمر الخافت بين الظلال الممتدة على جدران غرفتها. تملكتها رعشة خفيفة وشعور جديد بالقلق؛ فلقد خطر لها أن يكون ما سمعته ذات ليلة عن سرّ البوابة والحكايات القديمة مجرد همسٍ مُصحَّبٌ بخدعة، لكن قلبها يكنٌّ برودهما معًا. بينما

كانت تستمع لدقات قلبها تكشف خوفها الداخلي، استقامت كتفاها لتواجه لحظات الحقيقة القادمة وأغمضت عينيها بخفوت، تهمس لنفسها دعاءً خافتًا.

فجأةً، دون مقدمات، انفتح باب الغرفة ببطء. دخل الرجل الغامض. ملابسه سوداء كالليل بلا نجوم، ووجهه مغطًّى بوشاح رمادي باهت يخفي ملامحه. وقف في الظلام قرب النافذة، ينظر إلى السماء البعيدة ـ ثم لفت نظر ماريا إليه ببطء. ارتجفت راحة يدها برعشة خفيفة، لكنها أحكمت قبضتها على ظهر الكرسي المجاور. لم ينطق الرجل بأي كلمة، لكن عينيه عبّرتا عن خليطٍ من خيبة الأمل والحزن، وكأنما يحمل سرًّا عتيقًا أراد أن يبوح به أخيرًا. قالت ماريا بصوت هامس: "من أنت؟" أومأ الرجل برأسه خفيفًا. "لقد لاحقكِ الظلام منذ زمن بعيد، وقد آن الأوان لتعرفي الحقيقة"، همس بصوت خافت كهمس الأشجار في ليلة باردة. تجمدت الدماء في عروقها، لكن كلماته أثارت بداخلها شيئًا أخطر: كيف عرف كل هذا؟ كيف كان يعلم بأسرارها التي خبأتها في الأعماق؟ وقفت في صمت، تترقب الإجابة على أحجية قد تغير مجرى حياتها.

شرع الرجل بالمشي نحو الجناح المظلم للمنزل، خطوةً خطوة، كما يسري ظل طويل في فجر يحاول محو الليل. سار خلفه ماريا بتردد، تلاحقه بخوف

مختلط بفضول، محاولةً إمساك خيط الحقيقة قبل أن يفلت من بين يديها.
كان صمت رهيب يخيم على المكان، يلتف حولهما مثل عباءة تنتظر وقفة شجاعة.
فجأة، توقف أمام صورة قديمة معلقة على الجدار؛ لم تكن مجرد صورة، بل خريطة عتيقة محفورة عليها رموز غامضة تشير إلى "البوابة". أشار الرجل إلى تلك الرموز وقال: "قبل ولادة ذاكرة البشر، كانت هناك قصة؛ قصة بوابة تنشر من خلال حجابها هالةً من الظلال. إنها ليست بوابة مادية، بل جزء منكِ أنتِ، من أعمق سرٍّ في روحك." بدأت كلماته ترسم أمام عينيها مشهدًا من الماضي، كما لو أن اللوحة تصرخ بألوانها القديمة.
قال وهو يلمس إطار الصورة: "كل ما عشنا حتى الآن كان مُجهِّزًا لنهايةٍ تؤسس لبداية جديدة. الخيط الذي يربطك بهذا المصير كان مختومًا في قلبك منذ الطفولة. لقد ورثتِ مسؤوليةً أكبر مما تدركين، ولم يكن بإمكان أحد أن يمسحها."
كانت كلماته تهزّ كيانها، فهي كادت تَصرخ وهي تعيد ترتيب أوراق ذاكرتها: ظهرت أمامها أمها الراحلة تلوح بيدها حاملةً مفتاحًا مشوّهًا، وظهر أيضًا وجه ضبابي لرجلٍ كتب على جدران بيتها العتيق قبل عقود بحروف مشوّشة تقول "النور يولد من رحم الظلام". بدأت الفوضى تلتوي في عقلها، وصفعة

الألم تنبثق في نياط قلبها. حاولت تنفيس مخاوفها في صرخة مدوّية، لكن الصوت ضاع في هدير الزمن.

في تلك اللحظة الحرجة، سمعا معًا صوتَ كسرٍ خفيف صادر من باب الغرفة الخلفي، يقطعهما عن الأفكار الثقيلة. خرجت ماريا مع الرجل بسرعة إلى الخارج، لتقف أمام فجر جديد. كان الليل صامتًا حولهما، تزيّنه نجوم باهتة أمام هلال باكر. لكن في عمق الظلال، كان ثمة شخصٌ ثالث. وقف بعيدًا بابتسامةٍ باهتة، عيناه واحدة كالجمر المضيء في وجه الليل. نزلت يداه نحو خنجر طويل فضي يوشك أن يلمع، واقترب خطاه منهما ببطء خبيث، هامسًا: "الظلال لا تموت هكذا، لن يهنأ ظلامي حتى يبلغ حدود عالمكم..." تسارعت دقات قلب ماريا خفقانًا.

مع إشراقة أولى شعاعات شمس الفجر، بدأت الظلال بالتلاشي شيئًا فشيئًا من حولهما. تبدّدت الأصوات الباردة في مخيلتها واضطرابها الداخلي، وانكشف سحر الظلام الذي كان يكبلها. خرج النور بهدوء، فلم يحمل إلا وعدًا بتحرر العالم من قيود الظلام. وفي بزوغ هذا الفجر الجديد، وقفت ماريا وقد تشكل في قلبها يقينٌ ناصع: إن عهد الظلام قد انتهى، وبدأ عهد النور. كل زاوية من عالمها كانت تغمرها الآن دفقة من نور الولادة، وانطلقت همسات الأمل في صباح لم يخبَر به القلب من قبل.

كانت الساعة تشير إلى الثالثة صباحًا حين بدأت السماء تمطر دون سابق إنذار، كأنها تغسل بقايا الألم العالق في ذاكرة المدينة. وقفت ماريا وسط الزقاق المهجور، تتأمل الطوابق المظلمة التي ابتلعتها العتمة منذ سنوات، وذهنها يعيد تشغيل كل لحظة مرّت بها منذ بدأت رحلتها. ورغم العواصف التي عبرتها، لم يكن شيء مما عرفته كافيًا لتهيئتها لما كان ينتظرها خلف الجدار الأخير.

ظهر الصوت مجددًا، لكن هذه المرة بدا أقرب، وأكثر وضوحًا. لم يكن همسًا... بل كان نداءً داخليًا. شيء في أعماقها كان ينبض بالحقيقة. اقتربت من البوابة الحديدية التي رأتها في رؤاها المتكررة، يكسوها الصدأ وتتشقق حولها الأرض، لكنها كانت تنبض بطاقة غريبة. مدّت يدها، ولمست الحلقات المعدنية، فأحسّت بوخز في أطراف أصابعها وكأن المكان يرفض وجودها.

ثم دوى صوتٌ عميق خلفها:

"لو فتحتِ الباب، لن تعودي كما كنتِ... ولن تعودي أبدًا."

استدارت ببطء، لتجد "هو" واقفًا هناك. نفس الكيان الذي لاحقها في كل الأحلام. لكنه اليوم لم يكن شبحًا، بل كيانًا حيًّا من لحمٍ ودم، مغطى بهالة

من ظلامٍ يتنفس. لم تنطق ماريا، بل واجهته بعينيها، لا تخشى تلك الظلال التي كانت يومًا تُرعبها.

قالت بهدوء:

"أنا لم أعد أخاف."

ابتسم الكيان، ثم مد يده مشيرًا إلى السماء، حيث بدأت تتشكل دوامة من الضوء والسحب، تبتلع الظلام تدريجيًا. قال بصوت مرتجف:

"إذا كنتِ حقًا من اختارتها النبوءة، فثبتي... لأن ما بعد هذه الخطوة، سيعيد كتابة كل القواعد."

أغلقت ماريا عينيها، وأطلقت زفرة طويلة. كانت تعرف أن الحقيقة ليست فقط خلف البوابة، بل داخلها أيضًا. وفي لحظة صمتٍ عميق، ضغطت على المقبض الحديدي، وسمعت أول فرقعة... ثم انفتح العالم.

هدأ كل شيء فجأة... كأن العالم توقف عن التنفّس للحظة. لا صراخ، لا خطوات، لا شيء سوى الصمت... ذلك الصمت الثقيل الذي يسبق الإعصار. كانت ماريا تجلس على الأرض، يديها مغطاتان بالتراب، وملابسها ملطّخة بما يشبه الرماد. نظرت حولها، تبحث عن أثر لما حدث قبل دقائق فقط. الغرفة التي انفجرت فيها الشاشات، وتكسّرت فيها الجدران، كانت الآن مجرّد أنقاض تهمس بسرٍ لا يريد أن يُفهم.

مرت لحظة، ثم أخرى، قبل أن تسمع صوت الباب يُفتح ببطء. خطوات بطيئة تتقرب منها، وكل خطوة كانت كأنها دقّة من قلب العالم. رفعت رأسها، و إذا به... الرجل الذي رأته مرارًا في كوابيسها، من دون ملامح واضحة، لكن عيونه كانت دائمًا ذاتها: عينان لا تنظران، بل تخترقان.

تقدّم منها وقال بنبرة منخفضة، كأن الكلمات خرجت من باطن الأرض:

"كل من سبقوك فشلوا... لكنك وصلتِ. هذا لا يعني أنكِ نجوتِ. بل يعني أن الوقت قد حان... لتُختبري."

ماريا لم ترد. لم تشعر بالخوف هذه المرة، بل بشيء أقرب إلى القبول. قبلت أن تكون القطعة الأخيرة في لغزٍ يتجاوزها. قالت بهدوء:

"قل لي فقط... لماذا أنا؟"

ابتسم ابتسامة جانبية، وقال:

"لأنكِ الوحيدة التي ما زالت ترى الحقيقة وسط الفوضى... الوحيدة التي لم تنكسر رغم أن الجميع سقط. ليس لأنكِ أقوى، بل لأنكِ صدّقتِ، حين توقف الآخرون عن الإيمان."

سحب من جيبه شيئًا صغيرًا لامعًا... كان مفتاحًا. لا يشبه أي مفتاح رأته من قبل. نقش على جانبيه رمزان متعاكسان: أحدهما يشبه الشمس، والآخر كالقمر المحاق.

"البوابة الأخيرة لن تُفتح إلا بهذا... ودمك."

قالها وهو يرمي بالمفتاح نحوها. التقطته بيدها المرتجفة، وسمعت في تلك اللحظة صوت نبضات قلبها أعلى من أي وقتٍ مضى. المكان تغيّر... الجدران بدأت تتحرك، وكأن المبنى نفسه يتنفس، يتلوّى، يفتح دروبًا سرية لم تكن موجودة منذ لحظات.

استدارت ماريا ببطء، وقد أدركت أن النهاية لم تكن سوى بداية أعمق. كان هناك نفق، محفور في الأرض، تُضيئه شموع غير مرئية. مشت نحوه، والمفتاح في يدها اليسرى، بينما اليمنى تقبض على الأمل.

وفي قلب الصمت، سمعت صوتًا هامسًا من لا مكان:

"إما أن تُطفئي الضوء... أو تصبحيه."

كان الليل قد فقد ملامحه، والظلام لم يعد مجرد غياب للضوء، بل أصبح كيانًا ثقيلًا، يضغط على صدر ماريا مع كل خطوة تخطوها نحو المجهول.

أصوات الريح لم تعد مجرد هسيس، بل كانت كلمات مبتورة، كأنها أشلاء حوارات ضاعت في العدم.

المنزل الذي عادت إليه لم يكن كما تركته.

الأبواب مفتوحة، النوافذ مغطاة بستائر رمادية مهترئة تتحرك رغم سكون الهواء.

الساعة في الصالة توقفت على الثالثة صباحًا، تمامًا كما كانت يوم اختفت والدتها.

ماريا لم تعد تلك الفتاة التي تهرب من الأسئلة.

الآن، كانت تحمل كل الأسئلة في قلبها، تبحث عن إجابة واحدة فقط:

"لماذا أنا؟"

اقتربت من المرآة القديمة في غرفة والدتها، نفس المرآة التي كانت تخاف أن تنظر فيها وهي طفلة، والتي كانت دائمًا مغطاة بقطعة قماش سوداء.

رفعت القماش ببطء...

رأت انعكاسها، نعم، لكنه لم يكن وحده.

خلفها... ظل. لا وجه له، لا جسد، فقط حضور كثيف ينبض بالبرودة.

ولأول مرة... لم ترتعب.

بل سألت بصوت ثابت: "من أنت؟"

لم يجب.

لكن المرآة بدأت ترتجف، والضوء في الغرفة خفت، وانعكاسها اختفى... تاركًا فقط ذلك الظل.

ثم جاء الصوت... ليس مسموعًا، بل كأن عقلها فُتح لترداداته:

"أنا أنتِ... لو اخترتِ الطريق الآخر."

لم تكن تفهم تمامًا ما يعنيه الظل حين قال "أنا أنتِ... لو اخترتِ الطريق الآخر"،

لكن قلبها كان يعرف... يعرف أن هذا ليس كيانًا خارجيًا، بل شيئًا منها، امتدادًا لأفكارها، مخاوفها، وقراراتها التي لم تُتخذ.

سقطت الستارة فجأة عن النافذة، وانكشفت السماء... لا نجوم، لا قمر، فقط سواد سائل يتنفس كأن العالم كله تغير قوانينه.

"أنتِ كنتِ تعرفين دائمًا... لكنك كنتِ تخافين أن ترين."

قالها الصوت مجددًا.

ماريا تراجعت خطوة، ليس خوفًا، بل اتزانًا.

شعرت ببرودة على رقبتها، مثل أصابع هواء تكتب عليها شيئًا لا يُرى.

"أين أمي؟"

الصمت.

ثم، من المرآة، لم يظهر ظل هذه المرة... بل ظهرت صورة قديمة، كأنها لحظة محفوظة داخل زجاج مكسور:

طفلة صغيرة تبكي في أحد الأركان، وامرأة تقترب منها... لا وجه لها، لكن يدها كانت مألوفة... يد والدتها.

"كنتِ هناك..." قالت ماريا لنفسها.

وفجأة، انقسمت المرآة إلى نصفين، وابتلعها الظلام.

لم تكن تعلم أين أصبحت، لكن الأرض تحت قدميها لم تكن أرضًا، بل ضباب كثيف يحملها دون أن يسمح لها بالسقوط.

أصوات كثيرة كانت تهمس حولها، أصوات مألوفة... صوت والدتها، صوتها هي وهي طفلة، صوت بكاء، صوت ضحك تحول إلى صراخ.

ظهر أمامها باب، لا جدار له، فقط باب خشبي قديم عائم في الضباب.

فتحته.

ودخلت.

الغرفة كانت نسخة باهتة من غرفة نومها، لكنها مختلفة... مليئة بصور لا تتذكر أنها التُقطت، وجدرانها مكتوبة بعبارات محوّرة من ذكرياتها.

على الحائط الأيسر، مكتوب:

"كل مرة كنتِ تخافين فيها، كنتِ تخلقين ظلًا."

وفي الزاوية، صورة لامرأة مربوطة العينين بحبل من خيوط ضوء.

اقتربت ماريا منها، وكلما اقتربت، كانت تسمع أنفاسها.

المرأة حية.

"أمي؟" همست.

فتحَت المرأة عينيها ببطء، كانتا سوداوان تمامًا... لكنها ابتسمت.

“أنا هنا يا ماريا... كنتُ في داخلك طوال الوقت.”

“لماذا تركتِني؟”

“ما تركتُك... أنتِ من أغلق الباب.”

اهتزّت الغرفة. كل شيء بدأ يتشقق.

ومن بين الشقوق خرجت كائنات من الظل، أشكال غير واضحة، كأنها أفكار سيئة تمشي على قدمين.

ماريا تراجعت، لكن المرأة أمسكت يدها.

“لا تهربي، هذه المرة واجهيهم.”

“كيف؟”

“أخبريهم الحقيقة.”

“أي حقيقة؟”

“أنك لستِ خائفة بعد الآن.”

صرخت ماريا في وجههم:

“أنا لستُ خائفة!”

وترددت كلماتها في الفضاء، فارتجّ كل شيء، وبدأت الكائنات تتبخر.

الصمت

الغرفة اختفت.

ماريا وجدت نفسها في حقل أبيض، لا زرع فيه، ولا سماء، فقط نور ناعم يشبه التنفس الأول بعد بكاء طويل.

ووقفت أمامها... هي نفسها.

لكن أكبر، أكثر هدوءًا، أكثر ثقة.

"من أنتِ؟" سألت ماريا.

"أنا من ستكونين... لو اخترتِ أن لا تهربي مرة أخرى."

اقتربت ماريا منها، واحتضنتها.

وفي تلك اللحظة، شعرت بكل ما فاتها... كل ما أنكرته... كل لحظة تجاهلت فيها الألم كي تواصل الحياة.

والآن... لم تعد بحاجة للهروب.

حين فتحت ماريا عينيها مجددًا، كانت تقف أمام نفس المرآة.

لكن هذه المرة، لم يكن فيها شيء سوى انعكاسها الحقيقي... ليس وجهًا مرتبكًا، بل عينان مليئتان بمعرفة.

وبهدوء، مدت يدها ولمست زجاج المرآة.

لم ترتجف.

لم يظهر ظل.

بل ظهر خلفها ضوء... خافت... لكنه يزداد.

سمعت الصوت من جديد، لكن ليس من الخارج، بل من داخلها:
"الحرية التي كنتِ تبحثين عنها، ماريا، ليست سوى بداية.
والنهاية التي ظننتِ أنها النهاية، هي في الواقع... بداية شيء آخر."
ثم أغلقت ماريا عينيها، واختفى كل شيء.

الهدوء الذي سبق الكارثة لم يكن طبيعيًا. كان يشبه سكون المقابر، لكنه لم يكن موتًا. كان أكثر حدة، أكثر حضورًا. ماريا شعرت بذلك في عظامها، كأن الهواء نفسه يراقبها.

البيت الذي دخلته هذه المرة لم يكن كباقي البيوت. لم تكن فيه مرايا، ولا نوافذ، ولا حتى أبواب خلفها. وكأن من دخله لا يخرج. الجدران رمادية، تتنفس، نعم، شعرت بذلك بوضوح. كل شيء كان حيًا على نحو مريب.

خطواتها كانت تخونها، كلما تقدمت شعرت بأنها تغوص أكثر، لا في الأرض، بل في نفسها.

"أنتِ متأخرة،" قال الصوت خلفها.

استدارت ببطء. لم يكن خالد. لم يكن أحد تعرفه. لكن الوجه... مألوف. مرآة من زمن آخر؟ كان يشبهها. نفس العينين. لكن فيه سواد، ظلال تبتلع النور من الداخل.

"أنا أنتِ عندما صدقتِ الكذب،" قال، واقترب.

لم يكن ظلاً، بل حضورًا. ماريا لم تستطع الصراخ. لم يكن هناك هواء كافٍ.
"كل مرة نظرْتِ فيها في المرآة، كنتِ ترينني. لكنكِ تجاهلتني."
"ما أنت؟" همست.
"الحقيقة،" أجاب. "الحقيقة التي هربتِ منها."

البيت بدأ ينهار، لكن ليس كما تتداعى الجدران. بل كما يتلاشى الحلم عند الاستيقاظ. ماريا فهمت أنها ليست في مكان. بل في ذاكرة. ذكرياتها. الصوت تكاثر. صار هناك ألف ظل، كل واحد يحمل لحظة قديمة، قرارًا ندمت عليه، كلمة لم تُقل، حبًا ضاع، خوفًا سكن قلبها طويلًا.
"هذه أنتِ. كل نسخكِ. كل ما كنتِه... وما كنتِ تخشين أن تصبحيه."

وفجأة، سمعت صوت خالد. واضحًا، بعيدًا.
"ماريا!! اخرجي من هناك!"
ركضت.
البيت تراجع، الظلال تذوب، لكنها لم تكن تركض نحو خالد، بل نحو نفسها. الضوء في نهاية الممر لم يكن ضوءًا، كان ذكريًا مفقودة. كانت طفلة. تجلس في ركن الغرفة، تبكي أمام مرآة محطمة.

اقتربت ماريا، وركعت بجانبها.

"أنا آسفة،" همست.

الطفلة رفعت نظرها، وابتسمت.

وفجأة، كل شيء تحطم.

الضوء لم يأتِ من السماء، بل من داخل جسدها. قلبها بدأ يصدر وهجًا دافئًا، يذيب ما تبقى من الظلام المحيط.

ماريا لم تكن وحدها. أدركت ذلك الآن. في كل خطوة، كانت تصحبها أرواح من عرفتهم، من أحبوها، من خانوها، من نسيتهم، ومن تمنت نسيانهم.

كل أولئك لم يكونوا مجرد ماضٍ. كانوا ما صنعها.

وفجأة، رأت خالد.

كان واقفًا عند الطرف الآخر من العدم، يتأملها بعينين دامعتين.

"هل عدتِ؟" سأل بصوت مكسور.

لم تعرف إن كان ذلك حقيقيًا، أو مجرد صورة من صور عقلها المرهق. لكن وجوده وحده جعلها تتنفس مجددًا.

"خالد..." همست.

اقترب منها، خطواته تغرق في اللاشيء، لكنها ظلت ثابتة.

"الوقت ينفد،" قال.

"أنا أعرف... لكنني لا أريد العودة كما كنت."
"لن تعودي كذلك. لقد تغيّرتِ. انظري لنفسك."

نظرت.
وفي تلك اللحظة، رأت انعكاسًا جديدًا... لم تكن الطفلة الباكية، ولا الظل، ولا المرأة الضائعة.
بل امرأة تقف في المنتصف. تعرف ما خسرت، وما لم تعد تريده، وما لم تعد تخشاه.
"الطيف لم يكن خارجيًا،" قالت. "كان داخلي طوال الوقت."
"تمامًا،" قال خالد. "وحان وقت اتخاذ القرار الأخير."

الأصوات التي كانت تحيطها بدأت تختفي. كل ظل تلاشى، كل طيف تراجع. بقي فقط القلب، ينبض بقوة.
تقدمت نحو خالد.
وفي اللحظة التي لامست فيها يده، حدث الانفجار.

لكنها لم تشعر بالخوف.

الضوء ابتلع كل شيء.

ذكرياتها، مخاوفها، حتى صوتها.

ثم... الهدوء.

هدوء يشبه رحمًا جديدًا، ميلادًا آخر.

حين فتحت عينيها مجددًا، كانت في غرفتها القديمة. تلك الغرفة التي بدأت فيها كل الحكاية.

كانت المرآة أمامها. مغطاة بالغبار.

مدت يدها.

مسحت السطح.

نظرت.

وللمرة الأولى، لم ترَ ظلًا، ولا خوفًا.

رأت فقط ماريا.

ماريا التي نجت.

"الهروب من الظل لا ينقذك...

فقط عندما تفتح له الباب، سيخرج منك."

ماريا كانت تقف أمام الظلال الأخيرة. تلك الظلال التي لطالما كانت جزءًا من عالمها، لكنها الآن كانت مختلفة، كانت تتنفس، تتحدث، تتغير في كل لحظة.

كل شيء حولها بدأ يختفي، مثلما اختفت المرايا من قبل، مثلما اختفت الحقائق تحت طبقات الزمن.

لكن هذه المرة، لم يكن هناك هروب. كانت هي الحقيقة.

وبينما كانت تتحرك ببطء، ويدها تتلمس الهواء البارد الذي أصبح أكثر كثافة،

أدركت أنها في اللحظة التي ستتخلى فيها عن الخوف، ستكتشف ما كان يختبئ خلف هذا العالم كله.

"الحرية التي كنت تبحثين عنها، ماريا، ليست سوى بداية.

والنهاية التي ظننتِ أنها النهاية، هي في الواقع... بداية شيء آخر."

وأمام عينيها، اختفت الظلال تمامًا، لتحل مكانها ضوء هائل،

وفي هذا الضوء، لم يعد هناك شكل لشيء. كان مجرد حضور.

لكن هذا الحضور لم يكن مجرد حلم أو وهم.

كان حقيقة... حقيقة تجسد في داخلها، في أعماق كل شخص كان يراقب القصة.

"والآن، عندما تنتهي الحكاية، تبدأ الحكاية الحقيقية."

لم تعرف ماريا إن كانت قد رحلت عن هذا العالم أم دخلت إلى آخر، لكنها علمت شيئًا واحدًا.

"الحقيقة لا تنتهي، لأن الحقيقة هي الرحلة التي لا نهاية لها."

"لا تهرب من الظلال، لأنها الحقيقة التي لا تُرى إلا عندما تكون جريئًا بما يكفي لمواجهتها."